www.awu-awu.sy

الأسبوع الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العدد «1317» 2012/10/27 م - 12ذي الحجة1433هـ
السنة السادسة والعشرون

٢٤ صفحة - السعر: ١٥ ل.س

اللوحة للفنان التشكيلي أسعد بوديب

الأمن الثقافي.. تحدياته وسبل تحقيقه

الشاعر الإسباني انطونيو ماتشادو

الشخصيّة في القصّة الطفليّة

مدارس القدس ومكتباتها»

ملامحُ لهاربةٍ من العقيق

أمانة الشهيد

كفى يا شام

تشرين.. وابلٌ وجنى

هولاكو الجديد

أنيسة عبود

قاسية الحياة التي يعيشها السوريون..وضيقة فسحة الأمل.. تحجرت أفكارنا وتصحرت خيالاتنا، لا نرى إلا القتل والتفجير وشظايا الوطن. كيف سنفكر برغد العيش بعد أن تحولت الحقول إلى مقابر؟ وكيف سنخلد إلى السكينة والرصاص يدق بوحشية قلوبنا؟

ماذا ننتظر؟ وكم سننتظر حتى نلمّ جراحنا ونبني قناعات جديدة؟ ليس غير السوريين من يتألم على سورية..وليس غيرهم من سيبني هذا الوطن الحزين؛فماذا سنكتب للزمن؟ وماذا سنقول للتاريخ , وبأي طريقة سنوثق مستقبلنا؟

هل سيكتب الأدباء عن الدم السوري بصدق بعد أن تحولت الأخلاق والقيم وتحجرت الأقلام وبيعت الضمائر؟

كيف سيكتب من قبض من ملوك العار؟

وكيف سيرسم من هرب إلى بلاط الأمير؟

أما ذلك الذي دفع دمه ثمناً لتراب الوطن العزيز، فمن سيكتب عنه؟

إن ما يجري اليوم في سورية أيقظ في أعماقنا الخوف على تدوين التاريخ وعلى طريقة التدوين بعد أن اختلطت الأوراق والمصالح والغايات. لقد اختلط الحابل بالنابل، وما عدنا نعرف من هو الموثوق ومن هو غير الموثوق؛ كيف سنعثر على المؤتمن على تراث أمتنا وعلى تاريخها..؟

من هو الذي سيعترف للورق بالحقيقة ليقدمها للأجيال القادمة؟ ومن الذي يملك الحقيقة المطلقة؟ كيف تكون هذه الحقيقة في بلاد النفط؟ وكيف تكون عند الشهداء؟ وكيف يمكن أن نصدق أن تاريخ الأمس ليس مزوراً كما تاريخ اليوم؟

لقد زور المستعمر تاريخنا وقولنا أشياء لم نقلها. وألصق بنا وثائق لم نسمع بها.. إنه الأقدر على التزوير والأقدر على تحوير الحقائق وتحويلها من جهة إلى جهة.. ونحن الأضعف، وعلينا أن نصدق ما يقرره هذا الغرب اللعين وهذا النفط الملعون.ولكن إلى متى نبقى أحجار شطرنج على رقعة التاريخ والزمن؟.

إن الأزمة في سورية أيقظت السوريين على أن للحقيقة أكثر من وجه..وأكدت لهم أن كل شيء قابل للشك. كما أن كل شيء قابل للبيع والشراء, حتى أعمار البشر ودمهم....لم تنفع الصورة الفضائية ولا المعلومة المنقولة..وكل هذه الأقمار والشاشات والمراسلين والمغامرات الصحفية لم توصل الإنسان إلى الحقيقة؛ بل العكس.. لقد ازداد التزوير والتحوير والرياء والنفاق.. وازدادت الحيرة, وبات الضياع والتشتت ميزتي العصر الحالي..فما عادت الصورة التي تبثها الشاشات هي الحقيقة؛ وما عادت الوثائق هي الصدق الموثوق. لأن العدو الخارجي والداخلي يلفق ويزور ومن ثمّ يوثق التزوير....ألم تدّعي «إسرائيل» أن محمد الدرة طفل إسرائيلي؟ ألم تدخل المعلومة الكاذبة إلى بيوت العالم كله، وعندما اقتضي التنويه والتصحيح كانت الصورة الزائفة قد ترسّخت كحقيقة وانتهى الأمر؟

من هنا.. ومن خلال ما يجري على أرض الواقع، نستطيع أن نجزم أن جزءاً من تاريخنا مزور، وأن ما كتبه الكثير من المستشرقين والذي نعتمده كوثيقة ونستشهد به، ما هو إلا التاريخ الذي دونه وأراده الغرب , من دون أن نملك القدرة على تصحيحه وتنقيحه..إنهم يكذبون في نقل الصورة وهي بين أيدينا، ويكذبون في أسمائنا وهويتنا وعناويننا ونحن على قيد الحدث والحقيقة.. فكيف بعد أن يطوي الزمن أوراقه، ويأتي بأوراق جديدة وأجيال جديدة لا تعرف من الحقيقة إلا ما ترويه الأوراق الصفراء، التي بقيت على رفوف الذاكرة، بينما الأوراق البيضاء-أوراق الحقيقة - قد احترقت؟!

إن هولاكو العصر الحالي أكثر سوءًا وخبثاً من هولاكو القديم الذي أغرق مكتبة بغداد في نهر دجلة، لتضيع الحقيقة ولتمحى الذاكرة.. بينما هولاكو الجديد، وعلى يد أهلنا وأخوتنا، وباسم الحرية والحضارة، مستعد أن يحرق ويدمر ويذبح ويزوّر، ويفعل كل ما يساعده على إنهاء وجودنا..فمن سيكتب هذه الحقيقة؟ ومن يقدر على مقارعة هذا الزيف العالمي كله؟ ومن سيوصل الحقيقة للأجيال القادمة، كي لا تسوقهم الفتنة وتذهب بريحهم جاهلية العربان؟

يقولون ستنتصر الحقيقة ولو بعد حين..

أنا أخاف من هذه (ألـ بعد حين) فتنسى الأجيال تاريخها كما تنسى أوطانها.

الصياد والعصفور

محمود حسن

في عام /2003/ وبعد الاحتلال الأمريكي للعراق، كتب الزميل والصديق /فوزات رزق/ قصة قصيرة جداً بعنوان /الصياد والعصفور/ تقول القصة:

/قال الصياد للعصفور دلنّي على أماكن العصافير لأنصبك ملكاً عليهم، قال العصفور: بعد أن تقتلهم على من سأكون ملكاً/.

في هذه القصة أرى أن العصفور كان ذكياً ومحباً لأهله وقومه وربمّا لوطنه؛ لأن المكان هنا وطن للعصافير/أكثر بكثير من أولئك الذين جاؤا بأمريكا لاحتلال بلادهم، وأولئك الذين يطالبون اليوم للتدخل العسكري الأمريكي في سورية، لأن هؤلاء يبدو أنهم لم يتعلموا لا من التاريخ ولا من التجارب السابقة، ولا حتى من الواقع الحاضر؛ فمن الغباء مجرد التفكير بأن أمريكا تهتم بالديمقراطية ومصالح الشعوب، لقد علمتنا التجارب أن هذه الدولة لا تفكر سوى بمصالحها، فإذا ما عدنا لاحتلالها للعراق، فماذا قدمت للشعب العراقي غير القتل والمآسي..؟ وما هي الأهداف التي دعتها للكذب والتذرع بوجود سلاح نووي للغزو..؟ لقد أظهرت النتائج أنه كان لها ثلاثة أهداف:

-الهدف الأول تدمير البنى التحتية لأنها تعلم أن شركاتها هي التي ستعيد بناء هذه المؤسسات، وهي ليست جمعية خيرية؛ فكل جندي أمريكي صرف عليه دخان هناك، سيدفع ثمنها الشعب العراقي، وبالتالي ضمنت البترول وخيرات العراق.

-الهدف الثاني: حل الجيش العراقي وتفتيته، وبذلك تقضي على قوة عسكرية صاعدة في المنطقة، قد تهدد مصالحها في الخليج، كما وتهدد «إسرائيل» وهذا خط أحمر بالنسبة إليها.

-الهدف ثالث: إثارة الفوضى التي تستنزف قوى الدولة، بحيث تبقى ضعيفة وغير فاعلة في محيطها.

وإذا ما نظرنا إلى أرض الواقع سنجد أنها حققت الأهداف الثلاثة، وهذه الأهداف نفسها حققتها في ليبيا، وحققت أيضاً هدفاً رابعاً لا يقل أهمية عن الأهداف الثلاثة، فهي اليوم ومعها أروبا، يقولان للعالم انظروا إلى ما يحدث على الأرض العربية من تخلف وهمجية، وبخاصة في العراق وليبيا وسورية؛ فهذا هو الإسلام، وهذه هي الشريعة المحمدية التي يفتخرون بها، وقد وصل بهم الاستخفاف والاستهتار إلى فبركة أفلام وصور تشوه صورة النبي الكريم، وبدلاً من أن يكون الرد من قبل علماء ومؤسسات إسلامية رداً علمياً وحضارياً، دائماً يأتي الرد بانفعالات شعبية تدان عالمياً؛ وتضاف إلى أعمالهم الهمجية /كما حدث في ليبيا/ مثلاً.

تجربتان واضحتان وضوح الشمس، تجربتان ما زال الشعب في البلدين /العراق وليبيا/ يعاني منهما، وربمّا ستبقى المعاناة إلى أمد بعيد، في العراق وفي ليبيا البترول، وبالتالي فإن الدول المشاركة في الغزو مطمئنة لثمن الفاتورة؛ فماذا في سورية يضمن الخسارة من الغزو، ربمّا بعض من مشايخ الخليج يتكرم ويدفع الثمن، لكن أمريكا حاضنة أموال هذه المشيخات من دون مغامرة بحرب غير مضمونة النتائج، لأن خبراءها تحدثوا أكثر من مرة عن قوة سورية، وهم يعلمون أن القوة الضاربة في سورية ما زالت جاهزة، وحادثة الطائرة التركية التي سقطت فور دخولها الحدود السورية كانت مؤشراً لهذه القوة، وعلى الأغلب أنه كان اختباراً لهذه القوة، وبالتالي فهي تحسب له ألف حساب؛ كما أن أمريكا تعلم أن لسورية حلفاء في المنطقة وفي العالم أقوياء؛ إذن لماذا تقوم بمغامرة غير مضمونة، وربمّا تسبب وبالاً لحلفائها في المنطقة؟! لأن الحرب لم تبق ضمن الحدود السورية؛ بل ستمتد إلى كل دول المنطقة، فلماذا تغامر إذا كانت تستطيع أن تحقق هدفاً هاماً بالنسبة إليها وهو استمرار حرب العصابات التي تمولها مشايخ الخليج، وبذلك تضمن إضعاف سورية وأمن «إسرائيل»، وهذا هدف استراتيجي بالنسبة إليها وإلى «إسرائيل». ومن يراجع التاريخ وتحديداً من الحرب العالمية الأولى وتقسيم الوطن العربي إلى دويلات، سيجد أن الدول الاستعمارية وضعت خطوطاً حمراً، تضع كل ثقلها من أجل عدم تجاوز هذه الخطوط: الخط الأول إعادة توحيد دول الوطن العربي، ومن أجل ذلك زرعت «إسرائيل» في قلب هذا الوطن، وأمدتها بالمال والسلاح.

الخط الثاني: تحالف دول الامتداد الجغرافي /سورية، العراق، إيران/ لأن هذا التحالف بقوته الاقتصادية والبشرية، يهدد مصالحها في المنطقة، كما يهدد أمن «إسرائيل». وقد تحدثت وسائل الإعلام أكثر من مرة، عن عروض قدمت للرئيس بشار الأسد، أنه إذا قبل أن يتخلّى عن علاقته بإيران سيبقى ملكاً على سورية، كما هو الحال في الممالك العربية ومشيخات الخليج. ولأن الرئيس بشار رفض هذا العرض، تراهم اليوم يفعلون ما يفعلون، لا إصلاحات ولا ديمقراطية، ولا أهمية لإبادة الشعب السوري، والغريب أن بعضاً من المعارضين السوريين يطالبون بتدخل الناتو، أصحيح أنهم لا يعلمون بكل هذه الحقائق، أم أن أملهم في السلطة غيب عن أبصارهم كل ما حدث ويحدث في العراق وليبيا..؟

لنفرض أنه تدخل الناتو، وفعل كما حدث في ليبيا، دمر البنى التحتية وكل المؤسسات، ثم دمر الجيش والقوة الضاربة التي تهدد «إسرائيل»، ثم جاؤوا واستلموا السلطة وكل مقاليد الحكم، فماذا سيجدون في سورية غير الخراب..؟ ستأتي الشركات وتعيد البناء، وعندما تعجز الدولة عن الدفع، سيضعون أيديهم على المحصولين الرئيسيين للشعب السوري /القطن والقمح/ وماذا بعد..؟ يجوع الشعب السوري، وهذا لا يهم أمريكا والدليل، هل اهتمت بالشعب العراقي الذي قتلت منه الآلاف، ومازال القتل مستمرا حتى الآن..؟

ثم ما هذه الدولة التي ستكون.. وما هي فاعليتها في المنطقة وهي غارقة في الدين والدم..؟ وصدق من قال: الدين هم في الليل وذل في النهار.

تساؤلات

سناء هايل الصباغ

لماذا في حياتنا هناكَ دائماً أشخاصٌ يظهرون فجأةً....

ليجتازوا بيسرٍ مسافةَ الأمان التي تَوَهَّمْنا يوماً أننا أقمْنَاها حولَ روحنا...

مُستقلّينَ للعبور، طيبةَ قلوبِنا وعفويةَ حروفِنا وانكسارَ أحلامِنا...

فيوهِمُونكَ للحظاتٍ قد تطولُ لساعاتٍ.. أن أحدَهم قد أصبح ذاتَ فجأةٍ، صديقكَ الصدوق، وبيتَ سرك، ومشكى همكَ؛ بل قد تحملُكَ براءةُ أفكارِكَ لتحيلَ هذا الشخصَ إلى كتفٍ افتراضيةٍ، تلقي عليها رأسكَ، لتتلقّفَ دموعكَ اللّا افتراضية....!!

والتي أيضاً توهّمتَ يوماً أنكَ استطعتَ حَبسَها خلفَ المآقي المنكسرة...

لتصحوَ من أوهامِكَ على حلمٍ لذيذٍ؛ اغتسلَ بدفءِ حروفِهِ.. وتعمَّدَ بدموعِكَ..

حلمٌ دافئٌ قصيرٌ كالفجرِ؛ سريعٌ كدقاتِ قلبكَ؛ سرمديٌّ كروحكَ...

ما يلبثُ أن يتلاشى كما بدأ ذاتَ صدفةٍ، ذاتَ رحيل...

لكنَّ الموجِعَ حقاً ليس الرحيل فجأةً كما الظهور...

بل بقاءُ ذاك الشخص دائراً في فلكِكَ، وعلى مرأىً من مآقيكَ التي علَّمَهَا التمرُّدَ -ذاتَ فجرٍ- على فنجانِ قهوَتِهِا..

وعلى سيَّافِ قبيلَتِها...

وعلى حروفِ مبادِئِها...

وأنتَ عاجزٌ عن التمرُّدِ على نفسكَ التي احتوت قُربَه البعيدَ حدَّ الحلم.!!

المؤلمُ حقاً أن ذاكَ الشخص الذي علَّمكَ الطيران -ذاتَ حلم- بجناحَي نسرٍ، واهماً إيَّاكَ أن السماءَ لنا، والفضاءَ لنا، والأرضَ لنا... ارتحلَ -ذاتَ حقيقةٍ - حاملاً في حقيبَتِه سماءَكَ، وأرضَكَ، وهواءَكَ.. ودونَما أن يلتفتَ ليَراكَ تتخبَّطُ بجناحَي فراشةٍ حدَّ الاختناق...!!!

سورية في مواجهة مؤامرة كنيس الشيطان وخطر المرابين الدوليين

يونس إبراهيم

بداية، لابد من الاعتراف، بأن أنظمة الحكم العربية لم تتمكن من الوصول إلى وضع استراتيجية محددة حول جعل العرب كأمة يتمتعون بالمنعة والاستقرار والحرية في إطار القومية العربية، وذلك عن طريق وضعها على الطريق الحضاري العلماني الجديد، على نحو تضاهي فيه التحديات المفروضة عليها!

وهذا ما أغرى بها قوى الشر العالمية قديماً، وكما نرى اليوم من اختراق لهيبتها واستباحة لمكونات وجودها في معظم أقطارها.

ولكن هذه القوى عندما توجهت قصد سورية، اصطدمت بواقع مغاير لما ألفته، فانكفأت تدرس مقومات هذا الواقع المانع والممتنع، فأبدعت له أسلوباً جديداً بأداة جديدة، كان الرئيس بشار الأسد حكيماً بتوصيفها حين قال: عن الذين يخططون ويمولون ويوجهون العصابات المسلحة في سورية هم في الخارج، ولكن الأداة هي من الداخل!

وإنه لمن حقنا أن نسأل، ما الغاية الجوهرية والهدف الثمين اللذان يستحقان كل هذا الذي يجري في سورية من إبادة للإنسان والبناء والمعالم الحضارية؟! أهي من أجل الديموقراطية حقاً؟ ولنفرض جدلاً، أن هذا الفرض صحيح، ألا يحق لنا أن نسألهم - بالمقابل - هل لديهم ديموقراطية في بلدانهم؟!

حسناً، فلو سمعنا معهم، أن الغاية هي الديموقراطية والإصلاح والحرية.. إلى آخر هذه القائمة من الألفاظ الطنانة والعائمة على سطح الأفكار، فهل الاستقواء بالخارج وتدفق هذا السيل المتواصل من العصابات والسلاح المتطور نوعاً والمذهل كماً، هو لصناعة هذه الأهداف التي يتشدقون بها، ويقتلون ويُقتلون من أجلها؟! إنه لمن المؤكد أن ليس من عاقل يؤمن بها، أو يقر لهم بمشروعية ما يعملون وإنسانيته، ولكن المطلوب هو التمهيد لتنفيذ مخطط مرسوم ومعد للمنطقة منذ عقود لا بل قرون وإنجازه، وسوف نبين ذلك عبر هذا المقال.

لقد أدركوا عبر اجتماعات ودراسات وخطط.. إنه لا يمكنهم إدراك النجاح لمخططاتهم إلا إذا تخلصوا من سورية كخطوة ضرورية لا غنى عنها، ولكن، لماذا سورية أولاً وبالضرورة؟ لأنها تمتلك المقومات الجوهرية التالية:

فهي تمثل الدماغ المفكر للأمة العربية في شؤون تضامنها وقيمها التاريخية، وحضورها الكوني في المجال الحضاري.. وهي بالتالي تمثل إرادة الجماهير العربية الفاعلة والتواقة إلى الاستقرار والاطمئنان للتخلص من حالة التبعية الدائمة للدول الاستعمارية، وطرح الخوف المرعب من الهيمنة الصهيونية، وهذا يعدّ الجانب الأساس من الجوانب التي تستهدف للدول الاستعمارية، وطرح الخوف المرعب من الهيمنة الصهيونية، وهذا يعدّ الجانب الأساس من الجوانب التي تستهدف سورية،

ولأنها ثانياً تمثل ضمير الأمة العربية الحي - على الأقل في هذه المرحلة - التي ابتليت بحكام باعوا ضمائرهم لكنيس الشيطان وقوى الشر العالمية، ظناً منهم أنهم سينالون رضا هذه القوى، ولكنهم سوف لا يكون لهم من مفر عندما يأتي دورهم وفق الأجندة التي حددوا فيها الأدوار.

وأما الجانب الثالث وهو الأهم، دعمها للمقاومة العربية، ووقوفها في وجه المؤامرات الكبرى وفي مقدمتها المشروع الصهيو - امريكي، وهذا ما سبب لسورية هذه الهجمة الوحشية التي بلغت حد تجييش كل قوى الشر ضدها، فكانت حرباً كونية بكل ما توصف به الحروب، وقد تبارت هذه الدول في زج ما لديها من قوة في هذه المعركة، من السلاح حتى الإعلام.. وكانت ثمرة حقدهم ما أفرغوه في محطة الإخبارية السورية التي عدَّت هؤلاء من أقنعة العار، وأظهرت معدنهم النفسي وابعاد أحقادهم التي لا حد لها.

وهناك جانب جوهري، يمكن أن يكون الإطار المقدس لكل هذه الجوانب، هو أن سورية تعدّ بيت قداسة، ومستودعاً لسر الله بوصفها البقعة التي اختارها الله وأعزها، بمعاني الوحي على أنبيائه ورسله، فأعطاها أفضلية القدم في إنشاء الحضارات وتكوينها..

ولأن سورية كانت وما تزال تمثل نقطة الارتكاز لرافعة العمل القومي، والنضال ضد أعداء الحضارة، فكانت مسرحاً لغزوات وحروب منذ أن تكونت حتى الآن، وهذا ما خلف لديها القدرة على الصبر والتحمل لمثل هذه الكوارث، التي كانت تتحداها جميعاً، وتخرج منها منتصرة، ومعافاة، على الرغم من تفنن أعدائها بإبداع أشكال وصور من أفانين الإبادة في بعدي الحياة البشري والمادي.

ولعل الأمر الذي كان وما يزال في حنق هؤلاء، ويرفع من درجة غيظهم بالرغم من العمليات الدامية التي هزت البلاد هزاً عتيقاً، ظل وجه سورية الجميل المشرق هو كل ما يراه العالم من سورية عموماً، ومن السوريين وحاملي الفكر والشعور القومي خصوصاً، وهذا ما فوَّت على أعدائها لذة أحلامهم التي كانوا يرون فيها انهيار سورية، جرياً على العادة التي ألفوها في بعض أقطار هذه الأمة، ذلك أن للعربي السوري آراءً وأفكاراً ذات آفاق واسعة، إذ ألف العيش بحرية وأمان، وثقة مطلقة بين هذا المجموع البشري الذي تكاد تجمعه مكونات أسرة واحدة، فآمن أن هذا الوضع خلق في مكونه النفسي شعوراً بأن عليه واجبات هي بمثابة الفرض اللازم تجعله في حالة تطلع دائم إلى سلامة الوطن والأمة ووحدتهما، وكيف يحافظ على سورية عروبته، كنقطة انطلاق إلى الوطن العربي الكبير.

من هنا نجد أن العربي السوري موضع تفكير ودراسة أعداء الأمة إيماناً منهم أنهم إذا لم يتمكنوا من اقتناص اللحظة التي يدخلون فيها سورية والسوريين عبر فضاءات مخططاتهم، فإنهم لا محالة فاشلون في السيطرة على الأمة العربية كأهم منطقة في العالم، لما حباها الله من موقع استراتيجي هام على مستوى العالم، ولما تمتلكه من إرث ثقافي حضاري - ومخزون مادي يتألف من كنوز متنوعة الفوائد الهامة، في أيدي كم بشري تمثل فيه اليد العاملة النسبة الكبيرة والممتازة..!

هذه المكونات هي التي أغرت المرابين الأوليين، وبدافع من المؤسسات الصهيونية العالمية

البقية ص٢٢

الافتتاحية

حسين جمعة

الحداثة والحرية

عالجت الحداثة مسائل وقضايا كثيرة، من أبرزها الحرية والديمقراطية والهوية، والمواطنة، والدولة الوطنية والقومية و... ما يثبت من جديد أن أي مشروع وطني أو قومي نهضوي إنما يصاغ من جديد على يدي أصحاب الحداثة، ولا يجوز له الاصطدام مع العناصر الروحية الموروثة للأمة التي شكلت هويتها الخاصة على نحو ما وإلا فإنه لن يستطيع إحياء التراث الروحي والفكري العربي، بل سيقع في مطب إلغاء النماذج الفكرية والثقافية الخاصة، واستنساخ حداثة عربية تجهد في التكيف مع أزمات المجتمع العربي، ما جعلها تقترب من الإنسان العربي ومشكلاته؛ لتغدو امتداداً لكل ما هو تعبير عن ذاته، أياً كانت فلسفته، شكلانية أو بنيوية، لسانية أو نصية، وجودية أو ماركسية، واقعية أم مثالية.... وحين كانت هذه النزعات عاجزة عن ابتداع قيم حداثية عربية ذات قيمة في هذا المقام أن نشير إلى أثر المشروع الصهيوني - الأوربي/ الأمريكي المضاد للمشروع العربي النهضوي. فهذا المشروع لم يحقق إلا بعض النجاح في تربة الوطن العربي ولا سيما حين أصابه عدد من الهزائم السياسية والفكرية في بعض مواقعه الداخلية. ما يعني أن على الحداثة الواعية والمسؤولة والمنتمية وضع آليات وأولويات مؤثرة ومفيدة وفاعلة في الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية على السواء.

وقد تجلت الحداثة بمعناها الإيجابي حين عالج المفكرون والباحثون والدارسون المتخصصون قضايا المجتمع المدني التي استندوا فيها إلى المواطنة والمساواة في ضوء الانتماء إلى الثقافة الحديثة دون إهمال الانتماء إلى الجنس العربي، سواء كان الإنسان مسلماً أم مسيحياً. وهذا ما لمسناه عند فرنسيس مراش أحد رواد عصر النهضة في كتاب (غابة الحق) - الصادر في حلب (1865م) حين دعا فيه «الجنس العربي إلى محبة وطنية منزهة عن أغراض الدين حيث يعتبر الأحقاد الطائفية والدينية من أخطر نتائج الجهل والتوحش». لقد آمن بامبدأ الفصل والوصل بين الموروث والمعاصرة، وبين الدين والدولة دون أن يحيف على هذا أو ذاك؛ فأي حداثة متوازنة تمنح الإنسان القدرة على الإبداع والفعالية، وتستجيب لمتطلبات العصر وحاجات الناس بمنطلقها الحضاري الذي يسمو بالصحة النفسية: وهو في هذا الأمر لا يخرج عما تحدث به (جان جاك روسو - ت 1778م) عن المحبة التي تكون دعامة (الخير العام). وكذلك كان (كانط - ت 1804م)، ولكنه أكد الوحدة بين العقل والإرادة بوصفهما أساس مفهوم الحرية.

ومن ثم فإن أنصار الحداثة المتنورين والمعتدلين من العرب على الصعيدين الوطني والقومي تمسكوا بهذه الرؤى من أجل الإصلاح السياسي والاجتماعي والثقافي... ودعوا إلى مفهوم المواطنة في إدارة الدولة، ورأوا أن التراث أو الماضي لا يمكنه أن يتكرر بشروطه التاريخية ذاتها؛ ما أدى بهم إلى إبراز الإصلاح السياسي الذي يلبي شروط التنمية والتقدم على حساب بقية أنماط الإصلاح...

أما القراءة الجديدة للحداثة فإنها تمثل وعياً للذات في إطار التكيف مع الحالات المستجدة بكل تجلياتها وعلى عدة مستويات وصُعُد من جهتي المضمون والشكل.

ولمّا كان ذلك كذلك فإن كثيراً من الأخطاء قد اعترضت المشروع الوطني التنموي ابتداء بمظاهر الانحراف والضعف في الأداء وانتهاء بأشكال الفساد والتلاعب لدى بعض القائمين عليه حتى كاد المشروع يتهاوى... ولهذا لم تستطع أي رؤية إصلاحية متقدمة إنقاذ الوطن من براثن الفوضى والانهيار وهي رؤى تداخلت بمطالب الحرية والعدالة وتطبيق آليات الديمقراطية بوصفها سبيلاً إلى ما هو مرتجى منه...

وما أشد حاجتنا اليوم إلى مثل هذا الوعي بحقيقة المفاهيم والتصورات التي تنطلق من الواقع وحاجة المجتمع، ورفض الانطلاق من التصورات المسبقة الجاهزة والموتورة إذ لا يجوز لي أن أمارس الحرية وفق مفهوم شريعة الغاب... ولا يجوز لي أن أفهم الحرية بأنها حرية فردية فالحرية في كينونتها الإنسانية والخلقية تفترض وجود الآخر والحفاظ على كرامته في صميم مفهوم الانتماء الوطني والحفاظ على سيادة الدولة وتطورها... ومن ثم فإن مفهوم الحرية مفهوم منضبط بنوعين من القوانين: خصُوصية تقوم بتدبير الوظائف الذاتية والحركات للشيء، وعمومية تربطه ببقية الأشياء، وعللها... ما يشي بأن المجموع الإنساني يحتاج في ممارسة الحرية إلى قوانين تضبط العلاقة بين أفراده لتحفظ عدم وقوعه في الفوضى والخلل... ومن ثم يصبح العقد الاجتماعي للاتفاق على ممارسة الحرية عقداً جماهيرياً بين أفراد الشعب، ولهذا فلا حاجة لكي يكون هناك عقد اجتماعي بين الرئيس والمرؤوس؛ وهو ما ذهب إليه جان جاك روسو من قبل...

لأكاديمية العسكرية الإسرائيلية
مصادر الخطر الحقيقي على دول وشعوب المنطقة

محمد علي سرحان

مما لاشك فيه أن تصاعد وتائر الحرب والتصعيد السياسي والإعلامي ضد الشعب السوري. ومنع عملية التحول السياسي والحوار السلمي دلالات خاصة في تهديدات أمن المنطقة واتساع رقعة الدمار والنار التي تأكل الهشيم والبناء الذي هو ملك للدولة والشعب، والتدخلات الخارجية تزيد عملياً التوتر مستواه العام على صعيد إقليمي ودولي، وهذه الاستراتيجية الغاشمة تستدعي استقدام خبراء ومستشارين، ليتخذوا القرارات لتلبية دعوات التدخل الخارجي بطرق شتى؛ حيث تجتمع أجهزة غريبة لها خبرة سابقة في باكستان وأفغانستان والعراق واليمن؛ لإعادة سيناريوهات الغزو الاستعماري؛ أما التحريض والدعاوي الإعلامية والسياسية للإمبريالية في المنطقة، فهو حسب القوانين الدولية وميثاق الأمم المتحدة تدخلات سافرة بشؤون دول المنطقة من خلال تصعيد وتائر هذه الحرب وتوسيع رقعتها ونطاقها كذرائع للتدخلات العسكرية أو التدخلات بالوكالة تحت حجج سابقة، حماية المصالح الحيوية للأمن الدولي. لكنها هدفت ومازالت إلى ضرب ركائز حركات التحرر الوطني ـ والاجتماعي، وترسيخ نظم استبدادية وتمتين موقعها للحفاظ على المصالح الإمبريالية الاحتكارية، ودفع أدواتها السياسية والإعلامية والمسلحة وآلياتها العسكرية وتحشيدها وإرسال أساطيل حربية لتراقب وترصد نقاط الضعف الأساسية في الأنظمة العربية، ولا ريب أن هذه الأساليب والأعمال العدوانية ليست وليدة اللحظة الراهنة؛ بل هناك مخطط لإثارتها، عبر عقود ماضية، وهي تعود لزمان الأحقاد والتدخلات الاستعمارية، عقود عانت منها مختلف فئات الشعب المتضرر من تلك التدخلات، وحيكت المؤامرات والدسائس والذرائع، وتمسكت بذلك الدول بطابعها الاستعماري، وتعود اليوم بأساليب قديمة وجديدة، تختلف أدواتها المنفذة، بشكل فعلي وعملي، لعجزها عن إرضاء الدول والشعوب المنهوبة في خيراتها وكراماتها الوطنية، إن عصر العولمة والشرق الأوسط الجديد لا يريد كرامة لتلك الشعوب إلا من خلال نافذة مصالحه الخاصة؛ فالشعوب والقوى الوطنية والقومية الديمقراطية أخرجته من الباب كي يعود أكثر شراسة من النوافذ المفتوحة، فلما كانت الحجة الشرسة منهجية، نحو العراق أو الخليج أو إيران استخدمت أساليب الترغيب والترهيب، وتحريك الأساطيل البحرية، واستخدام أحدث الصناعات الحربية، عدا عن الشركات الأمنية السرية، التي ساهمت بعمليات الغزو، وهي خارج نطاق القانون الدولي، محمية بموجب اتفاقيات سرية. تجيز لها القتل والإرهاب والتدمير، وضحايا الحرب في العراق تجاوز عددهم الـ مليون نسبة كبيرة منهم (من النساء والأطفال) ـ ولم تجد من يحاسب القتلة والمجرمين حتى الآن، لا الأمم المتحدة ولا محاكم دولية متخصصة، وما تتعرض له سورية وليبيا واليمن هو تهديدات خارجية، وترهيب الأحزاب والقوى السياسية والشعبية، ومصدر الخطر الحقيقي، الدفع بقوى سياسية ظلامية كي تأخذ الواجهة السياسية. فهي تشكل خطراً حقيقياً على الرغم من تصاعد وتيرة التطرف اليميني، بشكل ملحوظ وهو تطرف يحابي الدول الاستعمارية، ويستجدي تدخلاتها من أجل التغيير؛ لكن التغيير لمصلحة من؟! إنه لمصلحة فئة استغرقت وقتاً طويلاً في ممارسة أعمال التخريب والفتن الداخلية متعاونة مع أجهزة إمبريالية استعمارية، ومررت مخططاتها وأساليبها التحريضية، بكل دهاء ومكر وتضليل..

أ. مؤسسات وأكاديميات عسكرية متطرفة:

أشد ما يمكن تسليط الضوء عليه هو أنه لا توجد ثورة من دون رؤية سياسية وأخلاق جديدة يتمسك الشعب بها، ثورة تجلب النمط الجديد؛ لا أن تجلب نمطاً دموياً ووحشياً يتأفف الناس منها ويستشعرون القلق والرعب والخوف من أساليبها ورموزها وأدواتها، والأحداث الدموية في اليمن وليبيا وسورية كشفت أن (الأيدي الخفية ضللت الناس بشعارات عديدة)، لكن تسرب الأسلحة الإسرائيلية والأميركية، لأيدي ممن يقومون بأعمال الحربية لها دلالات خاصة جداً، والصراع بات مكشوفاً، لقد سمعنا أحد المنشقين يتحدث عن دعم (فرنسا وبريطانيا) للثورة البيضاء في ليبيا وتونس، أو للمسلحين في سورية، فإذا سمعنا (مديح) شمعون بيريز وهيلاري كلنتون لهؤلاء المسلحين، سنعرف إلى أي تجاه تنتمي تلك القوى والرموز المسلحة؛ إذ لا يمكن اعتبار تدخلات فرنسا وبريطانيا وغيرهما في شؤون دول المنطقة تدخلات (آمنة)؛ بل هي تدخلات سافرة وحاقدة)؛ فإذا أخذنا الدول القارية (تركيا وإيران) حتى (الصين وروسيا) و(كوريا الشمالية واليابان) سنجد أكثر من نصف سكان العالم تتموضع في هذه المنطقة؛ والجغرافيا السياسية بطابعها الاستراتيجي تظهر أهمية الدول القارية في المحيط الهندي والخليج والبحر الأبيض المتوسط عدا عن (البحر الأسود)، ولها مؤثرات: 1 ـ المؤثرات الاقتصادية 2 ـ المؤثرات الروحية والدينية والثقافية 3 ـ والمؤثرات السياسية ق - والمؤثرات العسكرية سواء أكان ذلك بين أوروبا وآسيا أو غيرها والجغرافيا والطاقة البشرية الهائلة في المنطقة عدا عن الطاقة الانتاجية والطبيعية، وعدا عن (روابط الاتصالات والتعاون). لقد حولت الإمبريالية التكنولوجية، هذه المناطق إلى (بؤر توتر وتسلح لأهداف استراتيجية خاصة بها)، وجعلت محور تحركاتها وقاعدتها المتقدمة الجديدة [القواعد العسكرية في الخليج و«إسرائيل»] وارتباط مصالحهم المشتركة «التجارية والعسكرية والأمنية»، وزيارات شمعون بيريز المكوكية إلى قطر كان لها دلالاتها الخاصة وقد أدى التعاون الخليجي القطري مع الإمبريالية العالمية (ونظام العولمة الجديد) إلى أحداث جديدة نشهدها اليوم في المنطقة، والشعارات المضللة واضحة، والأدوات المنفذة لها آفاق محددة، لقد ذكرت إحدى الصحف العربية في إحدى دراساتها أن [الأكاديمية الأمنية الإسرائيلية العالمية] تأسست قبل ربع قرن، وهي تدرب فرق المستعمرين (والسلفيين) بطرق خاصة، وهي استخدمت (فرق الموت في العراق)، كما (تستخدم فرق الحماية الخاصة) في العديد من الدول، وأرسلت لجنوب السودان فرقاً من هذا النوع؛ (فرق موت واغتيالات)، وأثارت الفتن والتدمير والاغتيالات والقنص (من جنسيات متعددة)، ويعملون لمصلحة شركات متعددة الجنسيات، وتحالفات ميدانية بين بلاك ووتر (فرسان مالطا) مع (منظمات شديدة المركزية) من غير المعروف مقدار تورطها مع الأكاديميات الأمنية المتورطة في أعمال سرية. ولعل ما ذكره عزرا دافيد(مدير الأكاديمية الأمنية العالمية الإسرائيلية) يشير إلى تدريب 14 ألف مقاتل تدريباً خاصاً من عناصر إسلامية وعربية من دون معرفة الضباط المدربين لهم؛ فقد تم تدريبهم في (الجبل الأسود وصربيا) أو في (أفغانستان وفي الخليج)، من المصريين والعراقيين والأردنيين والشيشان والصوماليين وهدفهم تحويل ليبيا واليمن وسورية إلى صومال جديد ضمن رؤية رجعية وظلامية غائرة في التطرف والقتل، مع إدراك بسيط لهؤلاء الشباب أن (شركات أمريكية وبريطانية) هي التي تدربهم، لكن في حقيقة الأمر الذي يدربهم على الفوضى والتفجيرات والاغتيالات وأعمال القنص والتخريب، حتى داخل الدول العربية والإسلامية (ضباط متقاعدين من (الجيش الأمريكي ـ والإسرائيلي)، وتم اصطياد العناصر المدربة بطرق شتى؛ إن زرع المتفجرات وتفخيخ السيارات؛ والمباني، هي أعمال إرهابية، من يقوم بالتدريب عليها ليست قوى ورموزاً تحارب الإرهاب، بل (مهنتها فعلياً الإرهاب والقتل وسفك دماء الأبرياء) وقتل الضباط الخبراء والعلماء والمفكرين، لقد كشف (عزرا) كيفية (التجنيد السري) في أذرع الأكاديمية العالمية الإسرائيلية، وتعاونها مع أجهزة دول استعمارية أهدافها مشتركة، لقد لعبت خطوط الانترنت والاتصالات السريعة وسرقة معلومات شخصية؛ وسرقة حسابات شخصية من الشبكة العالمية وتوريط ليس عناصرها فحسب؛ بل توريط مؤسسات وضباط، بأساليب (الترهيب والترغيب) واستخدام هؤلاء بتوصيات (من شركات أمريكية وإسرائيلية) كعملاء على مستوى معين في داخل النظم العربية وأيدٍ خفية تعمل بالعلن شيء، وفي الخفاء ترتهن للمصالح الإمبريالية وتزودها بالمعطيات التي تحتاجها، وهذه الخدمات عبر الأنترنت وشبكات الاتصال مسؤول عنها أساساً (المجمع الحربي والعسكري والمالي للإمبريالية) الأوربية والأميركية وأدواتهم في المنطقة.

ب ـ العقيدة الأمريكية ـ الإسرائيلية: عندما يتم تسليط الضوء على بلد محدد أو مدينة محددة، حيث تعتمد العقيدة الأميركية ـ والإسرائيلية على عناصر أساسية، هي مدروسة جيداً ومخطط لها سلفاً، تعمل تلك العقيدة على استنفار أدواتها بطرق متعددة منها:

1 ـ استخدام الفرق الصغيرة المدربة (سراً) على أعمال القوات الخاصة (البريطانية والفرنسية).

2 ـ تكتيك قوات المظليين والضفادع البشرية، وهدفهم القتل وسفك دماء (الكبير والصغير).

3 ـ اللباس العربي، واللهجة البدوية والعربية استخدمها (الشاباك وآمان والموساد) في الأراضي الفلسطينية، وتتحمل بعد أطراف (أوسلو) واتفاقياتهم الأمنية مسؤولية هذه الاختراقات الأمنية، حتى على شبكة الانترنت وإيصال المعلومات للعدو تحت حجج واهية.

4 ـ التعاون السري بين مصر ورؤساء شركات (إسرائيلية وتايلاندية وصينية وكورية) وخاصة في مجال (النفط والغاز)، حملت معها معلومات خطيرة جداً، تهدد الأمن القومي العربي، وخاصة اتصالات انترنت من هذه الدول بالذات وطبيعة الاحتيال فيها.

5 ـ الدورات التدريبية في أكاديميات أمنية (سرية) تستغرق من شهرين إلى ثلاثة أشهر لإعداد فرق الموت والاغتيالات، وتجهز وكالات سفر وخطوط طيران لإيصال العملاء داخل الدول العربية، والإسلامية، حتى في أوكرانيا وأذربيجان ودول بحر البلطيق حتى دول الخليج.

في سبعينيات القرن العشرين، كان يقطن في القاهرة أكثر من 50 من العسكريين الأمريكيين، زاد عموماً عددهم بعد استلام أنور السادات إلى الضعف، منهم جنرالات وعقداء، انضموا إلى شبكة أحباء صهيون «سوزان» في الحرب السرية ضد النظام المصري، حيث فرضت الرقابة الأمريكية على الجيش المصري، وتمكنت اتفاقات كامب ديفيد من تحييد مصر وجيشها عن مشاكل الصراع العربي ـ الإسرائيلي، فلم تتمكن معاهدة السلام من دفع السلام نحو الأمام، بل زاد الشعب المصري، أغنياؤه غنى على غنى، وفقراؤه فقراً، وحتى خلال ثورة شباب (بداية 2011) مصر وشعبها، وجدنا طبيعة التدخلات السافرة في مصر من عناصر إسرائيلية حرضت على الفتنة الطائفية، والاغتيالات، حتى إن بعض الفصائل المسلحة ساهمت مع (فرق الموت المدربة) على تخريب التحول السلمي والديمقراطي، وهذه دروس حقيقية للبحث عن الأيدي الخفية العربية والأوروبية والإسرائيلية المتعاونة على سفك الدماء وإثارة الفتن والأحقاد؟!

ملتقى التصوير الزيتي بالسويداء
...التشكيل من وحي الأدب

معين حمد العماطوري

بمشاركة عشرة فنانين من المحافظات السورية كافة أقامت مديرية الفنون الجميلة ومديرية الثقافة بالسويداء برعاية من الدكتورة «لبانة مشوح» وزير الثقافة، فعاليات ملتقى التصوير الزيتي الثالث بعنوان «التشكيل من وحي الأدب».

حيث أوضح الدكتور «ثائر زين الدين» مدير الثقافة بالسويداء أن مديرية الثقافة استضافت عشرة فنانين من المحافظات السورية؛ وهؤلاء الفنانون يرسمون لوحاتهم بإيحاءات قراءتهم الأدبية المختلفة من الشعر والقصة والرواية والمسرح؛ حيث أصبحت أعمالهم الفنية المنجزة من مقتنيات مديرية ثقافة السويداء، وتتعلق في مراكزها الثقافية؛ إذ سينجز كل فنان عملين زيتيين خلال مدة الملتقى، تترافق الفعاليات بمجموعة من المحاضرات لأدباء وأساتذة في الفن، تضيء جوهر العلاقة بين الفن التشكيلي والأدب؛ إذ يعدّ هذا الملتقى الأول من نوعه في سورية، ويقام للعام الثالث على التوالي.

وبين الفنان «أكثم عبد الحميد» مدير مديرية الفنون الجميلة أن الفن عنوان لارتقاء نفسية الشعوب، وسرية هي الحجر الأساس في تراث الإنسان الفنية، والحياة مستمرة في السلم والحرب، ولهذا كان انطلاق ملتقى اليوم الذي هو تفعيل للثقافة الوطنية، وكي لا تكون المركزية سائدة، وللعام الثالث، يقام الملتقى في مديرية الثقافة بالسويداء؛ لأنها بلد الفن والإبداع الفني، والسويداء ذات تميز على الصعيد الفني وعلى صعيد الذوق الفني؛ إذ بدأنا هذا المشروع منذ عام 2010 وكان استجابة لرغبة الوزارة في تنفيذه، وفي عام 2011 تجلت الصورة أكثر، وحرصنا على الاستمرار، وحقق حضوراً بهياً ونتائج مميزة بإبداع لوحات فنية معبرة عن العلاقة القوية بين الأدب بأجناسه والفن التشكيلي، وفي هذا العام تم اختيار خمسة فنانين من السويداء وخمسة فنانين من المحافظات السورية بهدف التقاء الفنانين والاطلاع على الأعمال اليومية لكل فنان، وتشكيل فكرة عن صناعة اللوحة الفنية، ونحن باتجاه الاهتمام بهذا الملتقى أكثر لجعله دولياً؛ إضافة إلى فناني السويداء».

وضمن فعاليات الملتقى قدم الأستاذ الدكتور «نذير العظمة» في اليوم الثاني محاضرة حول «القصيدة والازميل في التراسل بين المخيلة والعين في شعر أبي ريشة» أكد، فيها أنه يتمثل التراسل بين المخيلة والعين في شعر «عمر أبو ريشة» في ثلاث قصائد «المرأة والتمثال»، وقصيدة «جان دارك»، وقصيدة «معبد كاجوراو»، وهي قصائد تتخلى عن وحدة البيت التي عرفناها في القصيدة العربية الموروثة إلى وحدة القصيدة في موضوعها وبنيتها الفنية، لتعبر كن فكرة مركزية إلى وحدة القصيدة في موضوعها وبنيتها الفنية، وإن فكرة مركزية في بؤرة القصيدة تتجلى في أسطورة أو تمثال لهذه الأسطورة تعبر عن موضوعة فكرية، ويحرص الشاعر في هذه القصائد الثلاث على استلهام الشعر لا من الوجدان الينبوع الأساسي للشعر؛ بل من لوحة أو تمثال أو صورة على طريقة الرمزيين في التعبير عن مقابلات الحواس وتداخلها بين فن الشعر وفن الرسم والنحت. ما اصطلح عليه «بودلير» بالتعبير عن حاسة بحاسة أخرى تحول اللوحة أو التمثال إلى قصيدة من خلال تراسل المخيلة والعين؛ فالفنان الذي يجعل من الحجر أو الرخام صورة تخاطب الوجدان من خلال العين، يقدم للشاعر فرصة تحويل هذه الصورة المرئية إلى صورة سمعية منطوقة من خلال القصيدة.

وفي اليوم الثالث ألقى الدكتور «ثائر زين الدين» محاضرة عن القصيدة البصرية، بين فيها أن القصيدة لا يكفي أن تستمع إليها، بل لا بُدّ لك من أن تنظر إليها، وترى كيفَ كُتبت؛ بل كيفَ رُسمت! إنها قصيدةٌ تعتمدُ على توظيف حاسةِ البصر، ليس فقط لقراءةِ جُمَلها، ولكن لمتابعةِ طرائق تشكّلها ونظامٍ توضع مفرداتها وإشغالها لمساحة الورق، بما يحقق لها غاياتٍ فنيّة وفكريّة محدّدة، وبالتالي فلا يمكن التعامل مع هذا اللون من الشعر من دون استخدام حاسة البصر في تلقيّه، ومن هذا المنطلق غُلب مصطلح «القصيدة البصرية « على غيره من المصطلحات، التي تناولت على الأغلب جانباً من جوانب هذه الظاهرة دون سواه، ومرحلةً زمنية ما دون سواها، أو التي جاءت وليدةَ طموحٍ كبيرٍ، مستشهداً بأمثلة عن «الشعر الهندسي وأشكال هندسيّة أخرى كالدائرة والمثلّث والمربع والمخمسّ والمعيّن في شعرنا العربي القديم، محبوك الطرفين» و«الشعر المرسوم» وقصيدة البياض والفراغ وقصيدة الشكل الخطي» أو الغرافيكي. وهناك مصطلحات أخرى أوربية أو بتأثيرات أوربيّة مثل «القصيدة المجسّدة»، «والشعر الحروفي، والشعر الصاخب، وقصيدة التباديل، وقصيدة العلامات»و«التشكيليّة».

وفي اليوم الرابع أقيمت أمسية موسيقية غنائية للفنان «راضي عزام» الذي عزف على آلة العود أنغاماً وأغاني للموسيقار محمد عبد الوهاب وغيره.

وفي اليوم الذي سبق اختتام الملتقى أوضح الأستاذ «سلمان عزام» ضمن محاضرة له بعنوان «التأثير المتبادل بين اللوحة والقصيدة» إلى أن اللوحة كما القصيدة عمل إبداعي وولادة جديدة لا تأتي إلا نتيجة تراكمات جمة، والملاحظات الحسية والوجدانية، وبعد معاناة وتحد واحتراق، تعدّ تلك الولادة انتصاراً للحياة؛ لأن الشاعر كما الرسام نجح في وقف دوران عجلات الزمن عند لحظة معينة؛ ثم خلدت تلك اللحظة شعراً أو تصويراً؛ ولأن الزمن يحملنا إلى الموت والعدم، فإنه عدو في نظر المبدعين، لذا يخاطبه «لامارتين» قائلاً: «أيها الزمن، أوقف طيرانك، وأنت أيتها اللحظات السعيدة، كفي ولو قليلاً عن الهروب»، بينما يقول المتنبي:

ولو برز الزمان إلي شخصاً
لخضب شعر مفرقه حسامي

مؤكداً إن الأداء في اللوحة والقصيدة هو أداء نفسي سيكولوجي نابع من إحساس صادق ومرتكز على موهبة الفنان وفنية التعبير لديه لترجمة الإحساس إلى شعر أو صورة؛ أما بالنسبة إلى المتلقي فثمة حوار صامت ينشأ بينه وبين العمل الفني أو الأدبي لينتهي بموقف ما، تعصف بمشاعره لحظة انتشاء، تحمله إلى الآفاق التي أراد صاحب العمل إيصاله إليها، أو على العكس ربما يشعر باللامبالاة، هذا الأداء يحصل في مجتمع ما ومكان ما وزمان ما؛ أعني أن العمل وليد بيئة اجتماعية لها نهج فكري وسياسي وروحي معين، وبيئة جغرافية وزمنية.

وفي اليوم الأخير اختتمت الدكتورة لبانة مشوح وزيرة الثقافة الملتقى بتوزيع شهادات التقدير والمكافآت على الفنانين المشاركين، وافتتحت معرضاً للوحات الفنية المنجزة خلال الملتقى بحضور فعاليات ثقافية وأدبية وفنانين وأساتذة من كلية الفنون الجميلة بالمحافظة؛ حيث أشارت الوزيرة قائلة: إن نجاح الأمم يكمن في إدراكها لمزايا ونقاط قوتها والبناء عليها، ومبدعونا هم من دون ريب أحد مزايا هذا الوطن والتمسك بالجمال والإبداع بشتى صوره إنما هو تمسك بإرادة الحياة، وإصرار على بث الأمل في النفوس؛ أمل بوطن سالم آمن، وغد مشرق بإذن الله، وأضافت السيدة الوزيرة: لذا فإن وزارة الثقافة حريصة كل الحرص على رعايتهم وتنمية مواهبهم والبناء عليها، وانطلاقاً من قناعات وزارة الثقافة وأهدافها كان الغرض من إقامة هذا الملتقى تشجيع التعبير الإبداعي المستند إلى ثقافة ثرة مع المحافظة على الذات والهوية ركناً من أساسياً أركان الأصالة المتجددة، وهو الحصانة من القبح والأرض الخصبة للفساد الأخلاقي.

يذكر أن الفنانين التشكيليين المشاركين هم: «فراس الشيخ، جورج ميرو، سوسن الزعبي، نبيل السمان، حكمت نعيم، سوسن أبو فراج، عادل أبو الفضل، منير العيد، سمير درويش، جمانة جبر».

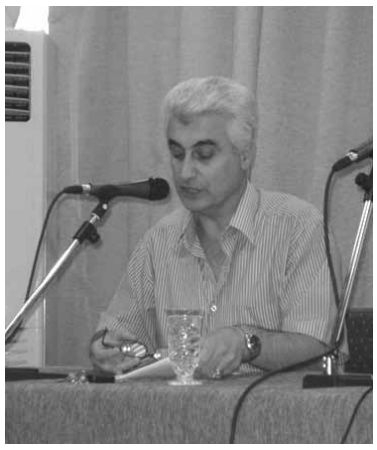
د.ثائر زين الدين

د.نذير العظمة

أسلمان عزام

الفنان التشكيلي منير العيد

الأمن الثقافي.. تحدياته وسبل تحقيقه

عبد الحميد غانم

يرتكز مفهوم الأمن الثقافي في المجتمع على وجود ثقافة وحضارة تجعل الإنسان يعتز بها بوصفها وعاءً حاملاً للموروث الثقافي برموزه وأفكاره وقيمه، مع ضرورة الاعتزاز بالذات خصوصاً في بلد متعدد الثقافات والأعراق والأديان، كي تتمازج في تنوع ويتعايش بعضها مع بعضها الآخر بلا تضاد.

إن ثقافة أمة هي مجموع مكوناتها الفكرية والمادية وإنتاجها الإبداعي العلمي والمعرفي عبر التاريخ، وهو ذاكرة الشعب وثقافته, هذه الذاكرة التي تورّث للأجيال اللاحقة مكونات الهوية والشخصية, التي تحمي صاحبها في المنعطفات التاريخية، وتجعله أكثر حكمة وشمولية وموسوعية ومعرفة للأحداث والنتائج, وأكثر قدرةً على تفسير مجريات التطورات التاريخية وتحليلها والتعامل معها.

يهدف الأمن الثقافي إلى تحديد أسس الثقافة وقواعدها والعمل على منع حالات الاختراق الثقافي والغزو الفكري، لكن ذلك يتم ببناء القدرات الثقافية وترسيخها لاستعادة الأمن الثقافي المفقود.

إن مفهوم الأمن الثقافي ليس اختراعاً ولا اجتهاداً؛ بل ضرورة ملحّة موجودة لدى كل دول العالم.

وأول حاكم عربي تنبه لأهمية الأمن الثقافي هو الخليفة الأموي المأمون؛ إذ كان يعلم أن ما دعي بالرومان والإغريق هم عرب وسوريون نزحوا إلى البر الأوروبي لسبب أو لآخر، وصنعوا حضارة أثينا وروما الفكرية والعمرانية والقانونية والسياسية؛ لهذا أمر المأمون بنقل العلوم الإغريقية والرومانية إلى العربية الفصحى على يد السريان تحديداً، ومنهم ابن قرة وابن بختيشوع؛ لأنهم الوحيدون الذين عرفوا اليونانية واللاتينية القديمة التي لم تكن سوى السريانية كتبت بالخط الفينيقي الذي سمي باللاتيني, وعندما أتموا هذه الترجمة، هتف المأمون وهو يتسلمّ الكتب: «هذه بضاعتنا ردت إلينا».

مفهوم الأمن الثقافي

اقترن استعمال مفهوم الأمن الثقافي بميلاد ظاهرة العولمة في فجر عقد التسعينيات من القرن الماضي. وهو اقتران ذو دلالة من وجهين: من حيث أن الثقافة ما عانت كثيراً مشكلات أمنها الذاتي؛ حيث كان نطاقها القومي مدار اشتغالها وفاعليتها، ومن حيث إن العولمة نفسها ما صارت كذلك- أي عولمة- إلا حيث حملت على ركاب ثقافي وأنتجت ثقافتها العابرة للحدود.

قد يوحي الحديث عن أمن ثقافي بأن في العبارة قدراً من التناقض والتجافي لا يستقيم معها معنى دقيق لها، ففيما تميل لفظة الثقافة إلى معنى يترادف- أو يجانس- الإبداع والانفتاح والتفاعل، تحيل لفظة الأمن إلى معنى يقارب الدفاع ويجانس الانكماش والتقوقع. حين تبحث ثقافة عن أمنها، بهذا المعنى، تبحث عما يعزلها عن غيرها من الثقافات- وبالتالي- تسعى بنفسها نحو إفقار نفسها، بل نحو الانقلاب على ماهيتها كثقافة، أو قل نحو انتحار بطيء يأخذها إلى حتفها.

لا بدّ من بناء معنى إيجابي لمفهوم الأمن الثقافي يتبدد به التباسه، يتأسس بهما معنى الأمن الذي يكتسب المفهوم معنى بنائياً، تراكمياً، إن حسبنا الأمن مرادفاً في الدلالة لتحقيق الإشباع الذاتي من الحاجات الثقافية. أمن ثقافة، بهذا المعنى، هو قدرتها على توفير حاجاتها، على الإنتاج والتراكم ومغالبة الندرة والحاجة، ورفع خطر الخوف من العجز وفقدان القيم الثقافية والرمزية التي تجيب عن مطالب المجتمع والفكر والوجدان والذوق.

وعليه فإن أمن ثقافة ما هو ما يحميها من التبعية، والتبعية (أي الارتهان للآخر والعيش على منتوجه، والتوقف عن إنتاج ما يشبع الحاجات والسقوط في نزعة استهلاك ما لا تنتج)، وليست الانفتاح على الآخر والانتهال منه والتثاقف.

على هذا الوجه لمفهوم الأمن الثقافي، فإنه يكتسب معنى بنائياً وتراكمياً، ويترادف الإنتاج، ولا ينطوي على أية دلالة سلبية ما قد توحي به عبارة الأمن. على أن حمل عبارة الأمن على معنى الدفاع وهو المشهور المقرر بقوة أحكام اللغة والتداول والاصطلاح- ليس مما يجوز فيه الطعن والإنكار بداهة في حال الثقافة، لأن في القول بأمن ثقافة بهذا المعنى الدفاعي ما يسوغه في عالمنا المعاصر؛ وفي الجاري من تحولاته وتحديات حقائقه الجديدة.

أما ما يتصل بمعنى دفاعي صرف على نحو ما يكونه أي أمن استراتيجي آخر يدخل في نطاق الأمن القومي. مثلما قد يتعرض أمن بلد لخطر العدوان أو التهديد بالعدوان، فيسارع إلى تعبئة قواه العسكرية والسياسية والاقتصادية لرد ذلك العدوان إن وقع أو درء خطر وقوعه إن أوشك أن يحل، قد يتعرض أمن ثقافة ما لخطر الاستباحة والعنف الرمزي من مصدر من مصادر التهديد خارجي، فيحمل المجتمع الثقافي على استنفار قواه ودفاعاته الذاتية لصون أمنه ومجاله الرمزي السيادي من خطر العدوان.

وكما أن الدفاع عن سيادة الدولة وأمن المجتمع حق مشروع حين يتعرضان للخطر، كذلك الدفاع عن أمن الثقافة حق مشروع حين يراد بها إلحاق الضرر؛ إذ العلاقة بين الثقافات تنظمها الديناميات عينها التي تنتظم العلاقة بين المجتمعات، وبين الدول، بعضها البعض: ديناميات التعايش والتجاور والتفاعل الإيجابي والاعتماد المتبادل، ثم ديناميات الصراع والاحتكاك العدواني والصدام. حين تترجح كفة الأولى، تنفتح المجتمعات والدول والثقافات على بعضها من دون هواجس أو تحوطات متوجسة. أما حين يميل الميزان إلى كفة التناقض والصراع، فينكفئ كل منها على نفسه، ويتموقع في خندق دفاعي مستنفراً لديه حاسة البقاء والأمن.

تحديات الأمن الثقافي

كل تغير في عالم الثقافة الموضوعي يفضي بالضرورة إلى وعي ثقافي يأخذ شكل أفكار حول الواقع.

والوعي الثقافي يدخل في عملية تناقض أو صراع على الثقافة الموضوعية، إذا كان واقع الثقافة موضوعيًا لم يعد قادرًا على الاستجابة لوعي ضرورة التغير والانتقال من حالة إلى أخرى.

إذ ذاك نكون أمام مسألة لا تندرج في إطار ما نسميه الأمن الثقافي.

نحن نعيش شروطًا موضوعية جعلت من الثقافة عنصرًا خاضعًا لأشكال وعي مختلفة من حيث وجودها ومن حيث وظيفتها.

وليس أدل على ذلك من أن هناك جملة من المصطلحات التي انتشرت وذات علاقة بما نحن فيه: الغزو الثقافي، الاختراق الثقافي، الدفاع عن الثقافة الوطنية، وأخيرًا الأمن الثقافي.

ويضاف إلى ذلك كله تلك الهوة التي تفصلنا عن التقدم الغربي وعلاقة التبعية التي نحن عليها للغرب، والتي أنتجت إحساسًا بأن الصراع مع الغرب هو صراع ثقافي، لاسيما وأن الثقافي يتحول إلى سلاح لتأكيد تبعية كهذه، مرة أخرى تنتصب الثقافة كمنقذ.

إذًا المدقق في مصطلحات كهذه يدرك أن العرب ينتجون الآن خطابًا أساسه فض العلاقة بين الثقافة العربية والثقافة الغربية انطلاقًا من فكرة التناقض بين الثقافتين: ثقافة قادرة على الاختراق وثقافة تقف موقف الدفاع عن نفسها في مواجهة هذا الاختراق. ولكن من بين المفاهيم والأفكار الأكثر ارتباطًا بالمواجهة فكرة الأمن الثقافي التي ترتبط بجملة أشكال من البحث عن الأمن القومي، كالأمن الاقتصادي والأمن السياسي والأمن العسكري وأمن المياه.. الخ.

وفي كل جانب يرد فيه مصطلح الأمن هنا، إنما يراد منه تحقيق قدر من المنفعة والقوة لتحقيق نوع من الطمأنينة الدائمة على الوجود الذاتي، هنا تبدو العلاقة ترابطية بين كل أشكال الأمن المطلوبة الآنفة الذكر.

إن فكرة الغزو الثقافي التي شاعت في الثمانينيات من هذا القرن، والتي قصد منها النيل من تيارات الفكر الأوروبي وتأثيراتها في الفكر العربي المعاصر، لا تدخل في زاوية رؤيتنا للمسألة.

فالوجودية والشخصانية والوضعية والبنيوية.. الخ تيارات ذات طابع عالمي لا تنال من الهوية الثقافية للأمة، وليست هجمة ثقافية يراد منها تشويه الثقافة القومية.

ولسنا نقصد بالأمن الثقافي الاحتفاظ بجميع القيم السائدة موضوعيًا عربيًا؛ ذلك أن عالم القيم عالم متغير متطور وفق تطور المجتمع الكلي، لأن كل مرحلة من مراحل التطور الموضوعي للعلاقات الإنتاجية وما يرافقها من تطور كلي، تخلق القيم المطابقة لها، وإن كان ذلك على نحو بطيء.

الأمن الثقافي: إن الثقافة بما هي سيرورة تشكل عاملاً مهمًا من عوامل وعي الهوية بالانتماء. والهوية هي استمرار الوعي بالتمايز الذي يحتفظ بالوجود الذاتي. فالثقافة بهذا المعنى شكل يعين الوجود الذاتي للإنسان وللمجتمع وللأمة. إن أي سلب مقصود موعى به للوجود الذاتي للأمة، إنما يمر عبر زعزعة الوعي بالهوية الثقافية. لأن الهوية تؤسس أصلاً على الوعي بالانتماء عبر الوعي بالتمايز الثقافي.

إن تغير الوعي الثقافي بحد ذاته لا ينجب سلبًا للهوية، طالما هذا التغير قائم في استمرار الوعي بالهوية. ولكن عندما تتعرض الهوية ذاتها إلى النيل عبر قنوات ثقافية، سواء أكان الأمر مقصودًا أو عفويًا؛ عندها، وعندها فقط، بإمكاننا الحديث عن خطر يواجه الثقافة بما هي وعي بالهوية يحقق الأمن الذاتي. إذًا الأمن الثقافي هو الشعور الذاتي بالانتماء الثقافي القومي الذي يخلق اطمئنانًا للوجود لدى الأفراد المنتمين إلى أمة، ويخلق لديهم فاعلية سياسية؛ أي تتحول الثقافة هنا إلى أداة فعل وتغير للعالم.

أهمية تحقيق الأمن الثقافي

يمثل تحقيق الأمن الثقافي غاية من الغايات التي ينبغي السعي نحو بلوغها في هذه المرحلة المهمة من مراحل التطور الثقافي والمعرفي. وفي ظل ثقافة كونية تنزع نحو انتهاك الخصوصيات الثقافية، وتهميش الثقافات الوطنية، وطمس الهويات القومية.

ومن هنا تأتي أهمية تحقيق الأمن الثقافي، الذي يعد جزءاً لا يتجزأ من الأمن الاجتماعي والحضاري؛ بل إن الأمن الثقافي يجب أن يحتل الأولوية، في هذه المرحلة المهمة من مراحل التطور الذي بلغته الثورة المعرفية. وفي ظل تعاظم التحديات والمخاطر التي تواجه الثقافات المحلية والوطنية. ذلك لأن الأمن الثقافي قضية ترتبط ارتباطاً مباشراً بكيان المجتمع ووجوده، كما ترتبط بهويته ووحدته الحضارية. وتتعاظم أهمية التأكيد على قضية الأمن الثقافي في ظل المخاطر والتحديات التي تفرضها الثقافة الكونية؛ حيث أصبحت هذه الثقافة الكونية عابرة لحدود الزمان والمكان، ومتجاوزة لنطاق الأمم والمجتمعات. ولا شك في أنها خلقت وسائل لا حصر لها لتبادل المعرفة والمعلومات، وحققت وفرة غير مسبوقة في الإنتاج الثقافي والمعرفي، بفضل ثورة المعلومات والاتصالات التي يعيش العالم في قلبها الآن. لكنها أفضت - في الوقت نفسه - إلى خلق أشكال جديدة من الاحتكار الثقافي. ذلك لأن الإنتاج الثقافي والمعرفي والتكنولوجي لهذه الثقافة لا يتم توزيعه بشكل متساوٍ بين الثقافات. كما أن تدفق المعارف والمعلومات لا يتم بصورة متساوية بين الدول والمجتمعات. وقد أفضى ذلك إلى تزايد الفوارق والفجوات المعرفية والثقافية بين دول العالم. وتفاوت حظوظ الأفراد والمجتمعات في نصيبهم من القدرات المعرفية ومن رأس المال الثقافي اللازم للتفاعل الإيجابي مع مستلزمات هذه الثقافة الكونية، والتي تمكنهم - في الوقت نفسه - من الدفاع عن خصوصياتهم الثقافية وتحقيق شروط الانتماء الحقيقي لمجتمع المعرفة والمعلومات.

من ناحية أخرى، تتسم هذه الثقافة الكونية، في معظمها، بأنها ذات طابع استهلاكي، تميل إلى إشباع حاجات الأفراد بوسائل دعائية جاذبة، تغذيها وسائل الإعلام والدعاية المتنوعة، وتسعى إلى خلق قيم واحتياجات ثقافية قد لا تعبر عن الحاجات الحقيقية للأفراد. كما تتسم الثقافة الكونية بأنها ثقافة تهيمن عليها الصورة.

الثقافة الاستهلاكية وثقافة الصورة

لا شك في أن العلاقة وثيقة بين الثقافة الاستهلاكية وثقافة الصورة؛ حيث أصبحت الصورة وسيلة أساسية من وسائل انتشار الثقافة الاستهلاكية، التي غدت - بفعل أساليب البث الفضائي المتنوعة - ظاهرة عالمية تتجاوز حدود الزمان والمكان. وأصبحت الصورة تمثل سمة بارزة من أهم سمات الثقافة الكونية، وشهدت حضوراً طاغياً، جعلها تستطيع اختراق ملايين العقول، داخل العديد من المجتمعات، في

وقت واحد. مهما كان حظ هذه المجتمعات وتلك العقول من المعرفة والتعليم. ذلك لأن استقبال الصور أو التأثر بها لا يحتاج إلى تعلم أبجدية القراءة أو الكتابة، ولا يحتاج إلى خلفية معرفية. وهذا ما دفع ببعض المفكرين إلى القول بأننا أصبحنا نعيش «عصر الصورة». والحاصل أن هيمنة ثقافة الصورة قد تم على حساب ثقافة الكلمة أو الثقافة المكتوبة.

والأخطر في هذه الثقافة الكونية أنها تعمل على إخضاع جميع الثقافات المحلية لسطوتها المعرفية والقيمية. بغض النظر عن طبيعة التباينات والخصوصيات الثقافية التي تميز الثقافات المحلية، وما تتسم به هذه الثقافات من أصالة، ومن ثراء وتنوع. لذا فإن الثقافة الكونية تمثل تهديداً حقيقياً للخصائص الجوهرية والقيم والعادات والتقاليد التي تجسد هوية المجتمعات وثقافتها الوطنية.

ويفضي ذلك إلى أن تصبح الثقافات المحلية مجرد تابع أو خادم يسير في فلك هذه الثقافة الكونية. وتخضع لشروط إنتاجها المجحفة. وتتحول إلى مجرد «مستقبل» أو «مستهلك» سلبي لكل ما تقذف به هذه الثقافة الكونية من قيم وعادات وتقاليد، قد تتعارض مع قيم وعادات وتقاليد هذه الثقافات المحلية. من أجل ذلك، فإن تحقيق الأمن الثقافي هو العاصم من الخضوع لشروط هذه الثقافة الكونية والوقوع في فخها.

سبل تحقيق الأمن الثقافي

إن إنجاز مفهوم الأمن الثقافي وإفشال عمليات التخريب الفكري، لا يتم عن طريق إغلاق النوافذ، ومنع التفاعل مع الثقافات الإنسانية، وإنما يتم عن طريق العلاقة الواعية مع ثقافتنا، والعمل على إيصالها بالطرق السليمة والعلمية إلى جميع أبناء المجتمع..

لم يعد الأمن الثقافي في حياتنا المعاصرة، مجرد هدف ثقافي - فكري، وإنما أصبح هدفاً حضارياً شاملاً، ينطوي على جوانب سياسية ووطنية لا تقل أهمية عن جوانبه الثقافية.

فالأمن الثقافي يعد عنصراً لا غنى عنه من عناصر النهضة الاجتماعية، ومظهرًا من مظاهر القدرة على التحرر والمؤثرات الخارجية الوافدة، فهو أعلى مظاهر استرداد الهوية التي سعت قوى الشر والبغي عبر التاريخ إلى إنهاء خطوط الدفاع الفكرية والعقدية كخطوة أولى لعملية الاستيعاب والسيطرة.. ويخطئ من يعتقد بأن الأمن الثقافي، هو عبارة عن غلق الأبواب والانطواء على النفس وتكثير لائحة الممنوعات، والابتعاد عن وسائل الاتصال والإعلام الحديثة.. فالأمن الثقافي لا يشكل حالة سلبية تتجسد في صد الناس عن المخاطر المحتملة.

إن الأمن الثقافي يعني توفير الثقافة الصالحة للناس حتى يتمكنوا من خلالها أن يعيشوا حياتهم المعاصرة بشكل سليم وإيجابي. وهو يعني بناء قوة الوجود الثقافي الذاتية، التي تقوى لا على المقاومة والصمود فحسب، وإنما على الاندفاع والملاحقة والفعل المؤثر.. ولكي تتحقق هذه المقولة، نعتقد أن مفهوم الأمن الثقافي يعتمد على عنصرين أساسيين:

1- الاعتزاز بالذات الثقافية الحضارية:

لأن الذات الثقافية بمثابة الإطار أو الوعاء الذي يستوعب منتوج المثقف؛ لذلك فإن منتوج المثقف ينبغي أن ينطلق من الخطوط العريضة وروح الثقافة الذاتية، بما تمثله هذه الثقافة الذاتية من رموز وأفكار وقيم.

والاعتزاز بالثقافة الذاتية لا يعني أن نغلق أبوابنا على ما هو ليس في أيدينا، وتتحكم به قوى أخرى خارجة عنا.. وإنما يعني أننا في البدء ينبغي أن نحقق ذاتنا الثقافية والحضارية، ونجعلها حاضرة في حركتنا الاجتماعية والثقافية. وننطلق من هذا الحضور الثقافي والحضاري للتفاعل مع الثقافات الأخرى.. ومشكلتنا المعاصرة ليس في الثقافات الأخرى وقدرتها على الوصول إلى مخادع نومنا، وتطرق منازلنا في كل وقت وفي كل ساعة؛ بل في الممارسات التي نمارسها جميعا أفرادا ومؤسسات في خنق الذات الثقافية والتضييق عليها.. لهذا فإن تجاوز الآثار السيئة والخطيرة للثقافات الغازية لمجتمعاتنا وشعوبنا، هو في أن نطلق الحرية لثقافتنا الذاتية، بأن تعبر عن نفسها بأي طريقة شاءت.. إن إعطاء المجال للثقافة الذاتية رموزًا وأفكارًا هو الخيار الاستراتيجي الذي نتمكن من خلاله تحقيق مقولة (الأمن الثقافي).وبهذا نعطي للثقافة الذاتية الأفق الطبيعي للدفاع عن كينونتها الاجتماعية والتاريخية.

2- الانفتاح والحوار مع الثقافات المعاصرة:

لأن الثقافة هي عبارة عن عملية مستمرة لا تتوقف عند حد أدنى تكتفي بتوفيره للناس، وإنما هي تهيئ الأرضية لعملية انطلاق ثقافي، تأخذ من الموروث الثقافي والانفتاح على الثقافة المعاصرة نقطتي انطلاق وارتكاز في جهدها الثقافي الراهن. فالأمن الثقافي لا يعني بأي شكل من الأشكال الاحتماء تحت متاريس الماضي عن الثقافة المعاصرة.. بل يعني الاعتزاز بالذات الحضارية مع هضم معطيات الآخر الحضاري. لأن الانطواء والانغلاق عن العصر وثقافته ومنجزاته هو إفقار للوجود الذاتي؛ بحيث نضحى وكأننا نعيش في القرون الوسطى السالفة، بعيدون كل البعد عن إنجازات الإنسان المعاصر وآثار العلم وحسناته.

وبالتالي فإن أي مجتمع لا يتمكن من صيانة أمنه الثقافي واستمرارية فعله الجماعي إلا بالاعتزاز بالذات الموصول بالانفتاح على منجزات العصر. وكل هذه الأمور تحفزنا للبحث عن الذات الثقافية وإبراز مضامينها وتطلعاتها، وتربية المواطن على ضوئها وهداها. وعن هذا الطريق يمكننا الحصول على الحد الأدنى من الأمن الثقافي المطلوب في عصر تكنولوجيا الاتصالات والأقمار الصناعية.

خلق الوعي الذاتي وتعميم المعرفة

أن إنجاز مفهوم الأمن الثقافي وإفشال عمليات التخريب الفكري، لا يتم عن طريق إغلاق النوافذ، ومنع التفاعل مع الثقافات الإنسانية، وإنما يتم عن طريق العلاقة الواعية مع ثقافتنا، والعمل على إيصالها بالطرق السليمة والعلمية، إلى جميع أبناء المجتمع، حينذاك نتمكن من إفشال كل عمليات التأثير السيئة للثقافات الوافدة، إن خلق الوعي الذاتي، وغرس مفاهيم الثقافة الذاتية في نفوس أبنائنا، عن طريق التربية الأسرية ونظم التعليم والإعلام، هو الكفيل بتحقيق الأمن الثقافي لمجتمعاتنا.

كما أن إطلاق الحرية للقوى الذاتية المتوفرة في المجتمع، لكي تمارس دورها الثقافي في زيادة الوعي، وتعميم المعرفة، ومقاومة مظاهر الاختراق الثقافي والفكري، يعد من الوسائل الضرورية لتحقيق الأمن الثقافي؛ بمعنى أنه من الضروري، أن تتضافر جهود الدولة والمجتمع عبر المؤسسات الرسمية والأهلية، والمبادرات الفردية، التي تتجه لتنشيط الحياة الثقافية في الوسط الاجتماعي، لأن وجود وتفعيل عناصر الحياة لثقافتنا في المجتمع، هو من الوسائل الفعالة التي تقاوم الاختراقات، وتمنع عمليات التخريب الثقافي..

العلم والقيم الأخلاقية

محمد الجبر

بدون شك نستطيع القول أن العلم لا يمكنه أن يمثل ظاهرة منعزلة؛ بل إنه ينمو ويتطور بقدراته الذاتية، ويسير بقوة دفعه الخاص وبالتالي يخضع لمنطقه الداخلي، بل إن تفاعل العلم مع المجتمع وقيمه الأخلاقية حقيقة لا يمكن نكرانها. ومن هنا يعد تقدم العلم واطراد البحث فيه ركيزة أساسية في تطور الحضارة الغربية وتعدد مظاهر الإنجازات فيها. فكارل ماركس كان قد أكد أن الحاجات والضرورات التقنية للمجتمع هي أكثر أهمية لتقدم العلم. وأن الأخير يرتكز في نهاية الأمر على أسس اقتصادية تتحكم في مسيرته(1).

ومن هنا فلابد لنا من التحليل الفلسفي حتى نتمكن من إقامة ضرب من التوازن بين القيم الأخلاقية والتطورات العلمية الجديدة، ومن أجل تغيير نظام قيمنا، وتحليل المشكلات الأخلاقية التي تواجهنا ـ بسبب الهوة بين فكر الإنسان والتقدم التكنولوجي. ومن الظواهر الملفتة للنظر في الفكر المعاصر، الاهتمام المتزايد بمسألة الأخلاق والقيم. فمنذ عقدين من السنين وأصوات الفلاسفة والمفكرين ترتفع لتطرح الناحية الخلقية والقيمية فيما يستمد على الساحة العلمية. وفي هذا يرى الجابري: «أن العالم اليوم يعيش، على مشارف القرن الواحد والعشرين، وضعية جديدة تماماً، حتى لا نقول فريدة غريبة. وتتمثل في هذا الإحراج؛ بل التحدي المتزايد الذي يسببه العلم وتطبيقاته للأخلاق والضمير الأخلاقي، والذي أثار ويثير ردود فعل يمكن وصفها بـ عودة الأخلاق(2)». ومن هذا السياق نجد بعض الفلاسفة وحتى العلماء يحاولون طرح القضية الأخلاقية والقيم كرد فعل على التحدي الذي يمارسهُ تقدم العلم. إلا أن هناك تيارات قوية تطالب وتعمل لتأسيس الأخلاق على العلم كالوضعية ـ والتجريبية ـ والتطورية، وهذه التيارات الفكرية كان لابد لها أن تصطدم بالمسألة الأخلاقية. ذلك لأن الأخلاق تقوم على صفات منها. إن موطنها النفس وليس الجسم ـ وإنها اجتماعية ـ وهي أخيراً خاضعة للتطور(3).

ومن هنا وجدنا أن الاختراعات والاكتشافات في ظل التطور الصناعي الراهن تمثل الحقيقة الكبرى في فترتنا المعاصرة. وهذا التطور لم يحصل من دون العلم؛ لذا فنلاحظ بأنه الحامل لكل المشكلات التي أسيء استخدامها بطريقة غير أخلاقية إنسانية؛ لذا لابد هنا من طرح السؤال الآتي: هل ثمة انسجام بين العلم والأخلاق بطابعه المعياري الإنساني؟

لقد تباينت الأجوبة عن هذا السؤال، وتعددت حوله على نحو يؤكد خطورة المنعطف العام الذي أشرفت الإنسانية على اجتيازه بفضل الاكتشافات العلمية والابتكارات التكنولوجية المتطورة.

فهناك من يقول إن الحرية عنصر مهم من عناصر الابتكار، وإن العلم لم يبلغ مرحلة متطورة جداً كالتي نعيشها اليوم إلا بفضل الحرية التي اتسم بها البحث العلمي وتطبيقاته.

وهناك في جانب آخر من يقول إنه إذا كان من المسلم به ضمان حرية البحث والابتكار للعلماء والباحثين؛ فإن ذلك يجب أن يقترن بمسؤولية أكبر من جانب العلماء والمبتكرين أنفسهم؛ إذ شتان بين باحث أو عالم يجري أبحاثه وتطبيقاته كيفما شاء أو بإيعاز من جهات رسمية لا تضع في اعتبارها مصلحة الإنسان، وبين باحث آخر يلتزم أبعاداً أخلاقية في إجراء تجاربه وتطبيق نظرياته. «والفرق بين عالم لا مسؤول وعالم ملتزم ومسؤول كالفرق بين آلة ميكانيكية تؤدي عملها بلا إحساس أو شعور وإنسان يؤدي واجبه بوحي من الأخلاق الرفيعة والمسؤولية تجاه الآخرين»(4).

لنأخذ الإنجازات التقنية والتطبيقات العملية التي يقوم بها حقل الهندسة كمثل من الأمثلة التي نطرحها هنا، لعلنا نحيط أكثر بجوانب الموضوع الذي نعالجه، فهناك من العاملين في هذا الميدان من يرى بأن مهمة هذا الحقل يجب أن تنحصر في الجوانب التقنية المحضة وفي الغايات التي نضعها؛ ابتداء بغاية التوصل إلى أهداف واضحة ومحددة في ميدان التطبيق ذاته. وفي طرف آخر نرى جماعة أخرى منهم يرون أهمية توسيع ميادين البحث ومجالات تطبيقاتها العلمية على نحو تظهر فيه ملامح المسؤولية والالتزام في كل مراحل البحث والتطبيق، وإن كان الخلاف ما يزال قائماً حول كيفية تحقيق الاتساع المأمول، وأي الأدوات التي يمكن استخدامها في هذا السبيل.

وهذا التصور يشير إلى أن الواقع المرير الذي يعيشه الأفراد بالفعل كان متمثلاً في أن المشكلة ـ بمعنى آخر ـ تكمن في الفجوة القائمة بين ما يمكن للتطبيقات الهندسية أن توفره للإنسانية من ناحية، وبين ما يجنيه أفراد المجتمع من فوائد نتيجة تقدم هذا العلم من ناحية ثانية. فقد استطاع الغرب أن يصنع المعجزات على صعيد العلم والتكنولوجيا، ولكن هل واكب كل ذلك التطور العلمي تطور مماثل على صعيد الأخلاق، وسعى إلى توطيد العلاقات بين البشر؟ وهل كانت كل تلك الإنجازات خالية من المنغصات، وهل استطاع العلم نفسه أن يقضي على بعض المشكلات الناجمة عن استغلال من قبل الإنسان؟ فما أكثر ما يشعر بالفخر والثقة العظيمة عندما يكتشف جديداً أو حين يبتكر أداة متطورة، ولكنه غالباً ما يشيح بوجهه عن بعض المعضلات المهمة التي تنجم عن كل ذلك. فما أن تلفت انتباهنا بين حين وآخر مشكلة الاختناقات المرورية عبر الطرق السريعة مثلاً، أو استنشاق بعض الأبخرة الضارة أو الهواء الملوث بالغازات السامة حتى يسارع بعض العلماء إلى التقليل من خطر كل ذلك، ويحاولون تسويغ المخاطر بحجة أنها الضريبة التي يجب أن ندفعها في سبيل التقدم.

ولكن الحقيقة هي أن الكثيرين كانوا عاجزين عن فعل أي شيء من شأنه أن يقضي ـ أو على الأقل أن يخفف ـ من المشكلات الناجمة عن الاستغلال البشع للعلم. فماذا فعل الناس إزاء بعض المشكلات الخطيرة التي تنجم عن الاندفاع السريع نحو التصنيع من غير اعتبار للمخاطر التي قد تنشأ عن ذلك؟ ثم ماذا فعل الناس إزاء مقولة خاطئة تحثهم على طلب العلم لأجل الشهرة أو المال أو سيطرة الإنسان على أخيه الإنسان؟ وهل يمكن أن يكون هناك بالفعل علم مفيد لا يأخذ في اعتباره أبعاداً إنسانية وأخلاقية مهمة؟ إذ ما فائدة علم لا يجد طريقه إلى التطبيق لأجل سعادة الإنسان أو التخفيف من معاناة البشر؟ وهل كان لكثير من المخاطر والمآسي أن تحدث لولا أن كثيراً من العلماء حصروا أنشطتهم في النتائج العلمية للعلم من دون الاهتمام بأي أبعاد أخلاقية أو إنسانية؟ انظر إلى موقف بعض علماء الغرب ومدى ابتعادهم عن مجريات الأحداث المصيرية في عالمنا المعاصر. ذلك أنه ما إن جاءت الحرب العالمية الثانية وظن بعض العلماء الأمريكيين أن الحرب يمكن كسبها، حتى سرت بينهم فكرة مفادها أن حياة الولايات المتحدة مرهونة بصناعة السلاح وتطويره. فتمت بناء على ذلك، وعلى نحو لم يسبق له مثيل، تعبئة الموارد الطبيعية والمواهب البشرية من أجل هذا الغرض، وصارت المؤسسات العلمية تتبارى في هذا الميدان، وأضحى العلماء يتسابقون في مضمار الأسلحة والدمار، غير أن الاستخدام الواسع للأسلحة المتطورة، وعلى رأسها القنبلة النووية، أعطى الناس دروساً مهمة لا يمكن تناسيها. فلم يعد إدراكنا واضحاً للصلة الوثيقة التي تربط بين النظرية والتطبيق فحسب، وإنما تعدى الأمر إلى إدراك للتقصير الخطير في ميادين مهمة في دراسة وبحث الجوانب الإنسانية في مسيرة العلم والتكنولوجيا.

1-انظر: عبد الله العمر: ظاهرة العلم الحديث، الكويت، 1983، ص25.

2-محمد عابد الجابري: قضايا الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص37.

3 -المرجع السابق، ص43.

4-انظر دانييل كيفلس وهود: «الشفرة الوراثية للإنسان»، ترجمة أحمد مستجير، الكويت، 1997، ص269.

الشاعر الإسباني الكبير
انطونيو ماتشادو (١٨٧٥-١٩٢٩)

فاروق أحمد شريقي

ولد الشاعر الإسباني الكبير (انطونيو ماتشادو) في مدينة (اشبيليا- اسبانيا) عام 1875 لعائلة كريمة اهتم رجالها بالدراسات والسياسة والأسفار، فوالده كان محامياً وحائزاً على شهادة دكتوراه في الأدب في جامعة إشبيليا ساهم بشكل فعال في بعث الدراسات الفلكلورية الأندلسية التي انتشرت لاحقاً في كل اسبانيا؛ جده كان طبيباً مشهوراً لقب بـ(الطبيب ذو المعطف الأبيض) تخلى عن مهنة الطب لأنه لم يتمكن من إنقاذ حياة فتاة مريضة. عين حاكماً لاشبيلية عام 1970 ثم أستاذاً في جامعة مدريد عام 1884. والدة الشاعر كانت امراة صلبة المزاج ذات تفكير وذكاء عميقين. أنجبت خمسة ذكور؛ ثلاثة منهم شعراء؛ أكبرهم الشاعر المشهور (مانويل ماتشادو) ويليه أخوه انطونيو موضوع البحث. دخل مانويل وانطونيو في مدرسة للأطفال حتى سن الثامنة، ثم انتسبا إلى المعهد الحر في (مدريد) يقول الشاعر ((ذكرياتي عن مدينتي التي ولدت فيها طفولية، أما مراهقتي وشبابي في مدريد))؛ عام 1900 حصل على الشهادة الثانوية؛ ولكنه استمر ولمدة عشرين عاماً وبشكل شبه يومي بالذهاب إلى المكتبة الوطنية، وعندما بلغ مانويل التاسعة عشر وانطونيو الثامنة عشرة عززا تواجدهما مع شخصيات مهمة في الحياة الأدبية والفنية؛ أمثال وزير الاقتصاد والسيدة فيكتوريا راقصة سابقة وغنية. إضافة إلى مقالات صحفية تحت اسم مستعار لكل منهما. وازداد شغف انطونيو بالمسرح، فانتسب إلى فرقة مسرحية. كما كان زائراً منتظمًا للمتحف الوطني (البرادو) (El prado)

عام 1903 نشر انطونيو ماتشادو مجموعته الشعرية عزلات أو أوقات العزلة (Soledades))

(سُوريا – ليونور : Soria Leonor): عين مدرساً للغة الفرنسية، فاختار مدينة (سورية)، ولكن لاعتبارات أدبية تركها ورجع إلى مدريد؛ ولكن شيئاً ما بداخله بدأ يلح عليه ويخزه؛ فرجع إليها ثانية، وفي الشهر نفسه تعرف إلى معشوقته ليونور /13/ عاماًيصف الشاعر اللية السابقة للقائها

فيقول: بدر تمام
لونه أزرق رصاصي
فوق سلسلة جبال (سانتانا) الرصاصية

يصفها الباحثون بأنها رقيقة ناعمة حنطية اللون عالية الجبين عيناها سوداوان. تزوجها الشاعر وعمرها /15/ عاماًعام 1910 قام برحلة إلى نهر الدويرو Duero مصطحباً معه عالماً جغرافياً ومجموعة من الأدباء وكان لهذه الرحلة أثر عميق في ديوانه حقول قشتاله ((Campos De Castilla؛ وفي العام نفسه سافر إلى باريس ترافقه زوجته، فمكث سبعة أشهر عمل خلالها ثلاث دورات في اللغة الفرنسية، وهناك مرضت ليونور، وانفجرت مأساته بضراوة، حين كشف الأطباء عن مرضها (سرطان بالدم)، فاهتز كيانه، وأصبح مدخناً شرهاً باستمرار، وحاول المسكين جاهداً أن ينقل مرضها إليه عن طريق العدوى ليموت معها، ولكن ما انقذه هو النجاح العظيم لديوانه حقول قشتاله، فأهداها نسخة منه وكتب: ((إلى صغيرتي ليونور الروح))، ثم ترك التدخين، وصنع لها عربة صغيرة، وصار يتجول بها في الدروب عبر الحقول، وكان يامل بأن هواء الربيع

أنطونيو ماتشادو

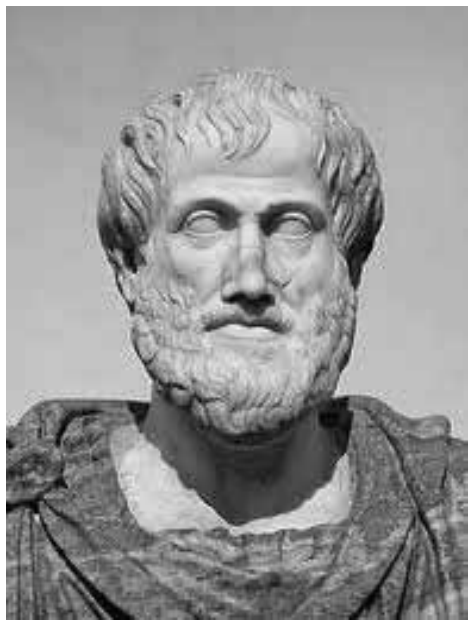

أرسطو

سوف يعيد إليها عافيتها، ولكن لم يجده ذلك نفعاً، وفي أول آب توفيت ليونور عن /18/ عاماً، فقال في تأبينها((لن انفصل عنك أبداً، وإذا وجد حب آخر فسيكون هو نفسه مع امراة بالأحلام))

(بايثا (Baeza : بعد وفاة ليونور هرب إلى بلدة بايثا جنوب إسبانيا، وكان تغيراً عميقاً للمناخ والعاطفة، فدرس اللغة اليونانية ليقرأ ويفهم أفلاطون وارسطاطليس، ثم درس ثلاث سنوات (1915-1917) في جامعة مدريد، وحصل على شهادة ليسانس في الفلسفة. نظرته الجديدة (للاندلس) أصبحت تختلط وتتراكب مع مكان ولادته اشبيلية التي كتب عنها قصائد أحلام، بينما الآن أصبحت قصائده أكثر واقعية، ولكنها بقيت ملونة بخيال ليونور الذي يجري في أروقة الروح. عام 1912 نظم رحلة إلى نهر الوادي الكبير Guadalquibir مصطحباً معه مجموعة من الأدباء، ومضيفاً جغرافية جديدة إلى جغرافيته الشعرية، ومبدعاً قصائد رائعة (حقول بايثا) Campos De Baeza وأشجار الزيتون الأندلسية على غرار حقول قشتالة وغيرها في سورية. عام 1914 اندلعت الحرب العالمية الأولى، فكتب قصيدة (اسبانيا في سلام) مؤيداً لموقف اسبانيا المحايد.

عام 1917 نشر مجموعتين شعريتين:
صفحات مختارة «Paginas Escogidas»
قصائد كاملة" Poesias Completas "

وفي العام نفسه حدث اللقاء بينه وبين الشاعر العظيم (غرسيا لوركا)؛ الذي حضر إلى بايثا مع وفد طلابي من جامعة غرناطة، فأقيم احتفالٌ على شرف الضيوف، وأنشد السيد انطونيو ماتشادو قصيدة رائعة، استمع إليها لوركا بحيوية. ويلاحظ في ديوان لوركا قصيدة شعبية غجرية Romance Gitano تأثره بقصيدة ماتشادو. عام 1918 حصل على شهادة ليسانس بالفلسفة والآداب، ثم عمل ثلاث دورات دراسية لشهادة الدكتوراه ولكن لم يتمها.

بين سغوبيا ومدريد.غيومار : (1919-1936)

عام 1919 انتقل إلى مدينة (سيغوبيا)، فتجمع حوله الكثير من الأساتذة والشعراء والطبقة المتواضعة من الناس، فخص كل من عازف الجيتار والنحات والموسيقي بقصيدة لكل منهم.

عام 1920 ابتدأ يعلم دروساً باللغة الفرنسية في الجامعة الشعبية.

عام 1922 شكل مع أصدقائه ومحبيه (الرابطة الإقليمية لحقوق الإنسان).

المدة الزمنية ما بين (1924-1932) تميزت بنشاط مسرحي ملحوظ مع أخيه (مانويل)؛ فكل منهما كان يكتب الجزء المنوط به من المسرحية، وفي نهاية الأسبوع يلتقيان ويتناقشان بالموضوع، وكانت تلك عادةً متبعةً منذ سن المراهقة، ويظهر تمكن (الأخوين متشادو) في الكتابة المسرحية جلياً؛ فالمسارح الرئيسية والشركات الكبرى كانت تحتفي بهما، وتقدم أعمالهما الدرامية التي كانت تحقق نجاحاً كبيراً.

إن أخلاق ماتشادو السامية سمحت له بأن يستقطب حوله الشعراء المحليين، وينشر قصادئهم على صفحات جريدته (الينبوع) (Manatial).

عام 1928 ابتدأ بكتابة قصائد غنائية – روحية وسماها (قصائد إلى غيومار)، ثم نشرها في جريدة (Oriente) التي كان مشاركاً فيها من (1923-1931). كما ظهر شعره الغنائي الروحي في مسرحيته (لولا) (Lola). تسائل الباحثون عمن تكون (غيومار) هذه المرأة التي لعبت دوراً كبيراً في قلب ماتشادو وشعره، وسماها (المعبودة). الشاعرة الشهيرة (بيلار بالدراما) كشفت النقاب عن هذا السر من خلال كتابتها لسيرتها الذاتية، فصرحت قائلة:(نعم أنا أكون غيومار ماتشادو))، وكانت (بالدراما) معجبة بشعره ومسرحياته، وقد أحبها هو أيضاً وقال لها: ((لولاك لم أعط للمغنية لولا صفتها الإلهية. ولكنه أوضح لها طبيعة حبه فقال: أنا لا أملك إلا حب زوجتي، وليس لي غير ذكراها، لأن الموت والرحمة جعلتا منه مقدساً. ويذكر أن هذه المرأة انتقدته لقلة اهتمامه بلباسه، فوعدها قائلاً: (سأعتني بلباسي، ولكن هذا يحتاج لبضعة أيام.. ولكنني أنفق على مشتراة الكتب أكثر مما ينفقه الآخرون على الثياب ثم أن الأكاديمي لا يجب أن يكون رث الثياب).. ومن المعروف أن السيد ماتشادو كان أكاديمياً من (الأكاديمية الملكية الاسبانية) ومن فرنسا أيضاً.

سنوات الحرب: 1936-1939.

عام 1936 نشبت الحرب الأهلية الاسبانية، فوقف السيد ماتشادو إلى جانب حكومة الجمهوريين الشرعية، ولم يكتف بذلك؛ بل راح يعقد الاجتماعات السياسية ويحرض المحاربين.. وفي تلك الآونة تلقى دعوةً من (إنكلترا) ليعلم الأدب الاسباني في جامعة (أكسفور)، ولكنه قرر البقاء في بلده، وقال: ((لم يبق في اسبانيا لغةٌ للبلاغة غير لغة الجندي، والعملة الوحيدة التي يجب أن تدفع تجاه بلدنا هي الحياة)). وخلال تلك الفترة كتب «قصائد الحرب»؛ عيّن رئيساً لدار الثقافة، ومسؤولاً عن الدعاية والإعلان، ولكن بداخله كان يعتصره ألم دفين ضيقٌ شديد بسبب خسارة الحرب، التي لا يجدي معها أي علاج. يوم 22/ك2/1939 أُعلم بخطورة الموقف، فخرج مع والدته وأخوته بالسيارة، مالبثت أن انضمت إلى موكب النازحين إلى (فرنسا).... وهناك قرب الحدود الفرنسية أنزلتهم السيارة، وذهبت حاملةً معها كل أمتعتهم بما فيها حقيبة الشاعر وأوراقه... كان الجو شديد البرودة والمطر ينهمر بغزارة، فوقف الشاعر بالعراء وليس بحوزته أي شيء.... ولا حتى جواز السفر أو هوية أو مال.... بعد فترة من الزمن حضرت عربة خفر الحدود، فركب فيها، وكأنه تنبأ بهذه الرحلة قبل أربعةٍ وعشرين عاماً في قصيدته التي يقول فيها:

وعندما يأتي يوم الرحلة الأخيرة
ستجدونني على ظهر مركبةٍ
متخففاً من أمتعتي.... شبه عارٍ.

من ثم توجه بالقطار إلى بلدة (كولور) (Coloure)؛ حيث كانت تربطه صداقة متينة مع عمدة البلدة ومع صديق آخر كان يعمل رئيساً لمحطة القطار؛ فبينما هو يقرأ أسماء المسافرين، وقع نظره على اسم انطونيو ماتشادو، فترك المحطة وذهب إلى البلدة ليبحث عنه حتى وجده في الفندق (Hotel Bougnol Quintana)

ولم يكن ليقوى جسد الشاعر العليل أصلاً على تحمل كل هذه المشاق، فتردت حالته الصحية، ثم ازدادت سوءاً ودخل في حالة احتضار.... وفي 22/شباط/1939 أسلم الروح. بعد وفاته بثلاثة أيام، توفيت والدته فدفنت إلى جواره في مقبرة البلد. وأطلق على أحد شوارع بلدة كولور Coloure اسم الشاعر أنطونيو ماتشادو

(Rue.Antonio Machado)

وفي الفندق المذكور توجد صفيحة معدنية نقش عليها بالفرنسية:

«Antonio Machado / Poete Espagnol/
22 Est mort dans cette/ maison le
.1939/fevrier

ومعناها باللغة العربية: أنطونيو ماتشادو شاعر اسباني توفي في هذا البيت في 22 شباط 1939.

جسد الأنثى والحيز المكاني
في مجموعة (نار ورماد) للقاص (عزيز نصَّار)

سامر أنور الشمالي

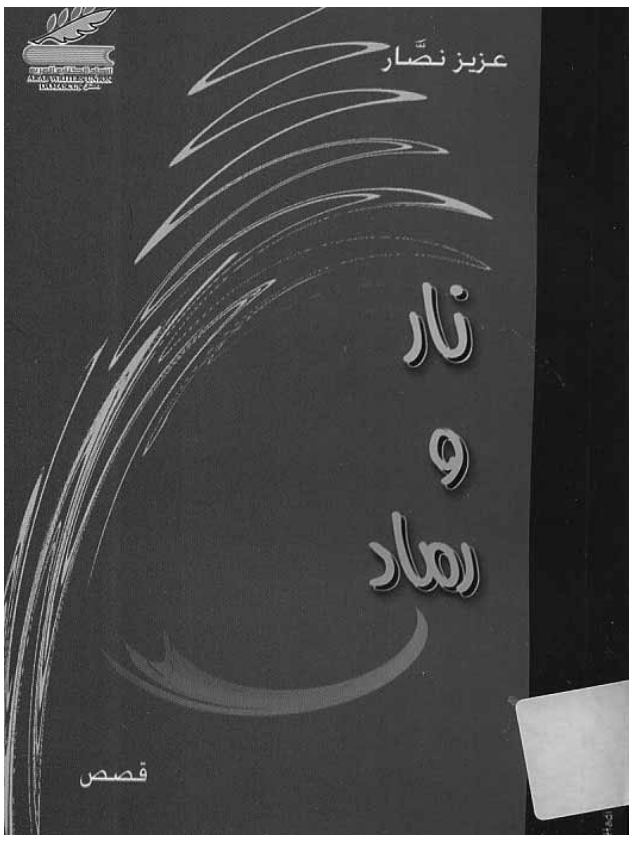

عزيز نصار

برزت علاقة الشخصية بالمكان على أكثر من صعيد، لدى الأديب القاص (عزيز نصَّار) في مجموعته القصصية (نار ورماد) التي كانت من المجموعات القصصية التي احتفت بجسد الإنسان- تحديداً جسد الأنثى- وتبدل حالاته وأفعاله عبر تواجده في أماكن مختلفة. وحضور المكان بقوة في القصة القصيرة من الأسباب الرئيسية التي تجعل الشخصيات أكثر التصاقاً بالواقع، لهذا كانت قصص هذه المجموعة تنتمي إلى الاتجاه الواقعي بامتياز. ومن المهم الإشارة إلى أن المرأة في القصص كافة لا تتماهى مع المكان وتندمج به، لأن حدود الإحساس لا يتعدى حدود الجسد، فينحصر دور المكان في كونه الحيز الذي تتحرك فيه الأجساد، وليس له معنى في ذاته.

النساء في القصص لا يتواجدن من خلال الكلام، أو الموقف الشخصي؛ بل من خلال الجسد الشهي الذي يطيح بعقول الذكور الذين يكونون بحالة استنفار دائم حول الحسناوات الصامتات، وهذا أحد الأسباب التي جعلت البطلات عاريات من الأسماء غالبًا، وافتقار البطلات إلى الاسم يدل على أنهن نموذج عام لا خصوصية له، وتكرار وصف جسد النساء يدل على أن حضور المرأة ينحصر في جسدها وقيمتها في إثارتها، وأن الإغـواء المتولد عن هذا الجسد يحدد دورها في المكان الذي تتواجد فيه، فالمكان مبني على مجتمع ذكوري شبق بامتياز، ومسالم ودود في الآن نفسه، فلم نشهد في القصص المتناولة جرائم خطف النساء أو اغتصابهن. أما سبب غياب الأسماء عن الرجال في القصص ذاتها فهو أن المكان الذي يتحرك به الذكور معروف لهم، ومعروفون به، فهم كانوا الرواة في الكثير من القصص، ولم تقم بهذا الدور أي امرأة؛ فالنساء يلعبن الدور الهامشي، وهن على كل حال لسن أكثر من زهرة جميلة أو حمامة وادعة في عيون الرجال.

قد تعود المرأة إلى المكان الذي غادرته كما في قصة (زهرة اللوز). وسبب تلك العودة إلى المكان أن الرجل الذي تزوجته بطلة هذه القصة كثير السفر، وهذا منع اجتماع الزوجين في مكان واحد للتمتع بملذات الجسد: (انطوت على نفسها في بيت مهجور. أيامها زاخرة بالإهمال والملل. رأى الرجل أن تبقى في المنزل، وهي تود أن تنطلق) ص128. ويبدو المكان الأول للشخصيات النسائية هو الأكثر أماناً، والعودة إليه تعيد الطمأنينة إليهن، والنزوح عنه قد يكون مشوباً بالاضطراب. وفي هذه القصة نجد أن منزل الزوجية المغلق على الأثاث الفاخر لم يقنع البطلة في البقاء فيه بمفردها، لهذا عادت إلى منزلها الصغير المتواضع من دون انقطاع أملها في البحث من جديد عن حب آخر، وهذا الطموح غير معهود من البطلات الأخريات: (تغادر بيتاً أنيقاً واسعاً موحشاً لتستعيد أحلامها النقية كأمواج البحر. وتعود إلى بيت صغير كعش دافئ. تعود إلى مرفئها الأمين كشراع تائه) ص133.

ورغم عدم احتفاء هذه القصة بجسد الأنثى الشهي، لم نعثر على الأوصاف المتشابهة التي تصف تفاصيل الجسد الأنثوي، رغم وجود إشارات صريحة تدل على رغبات الجسد؛ فلدى هذه المرأة مشاعر وأحاسيس مثل أي أنثى في القصص الأخرى: (يمكنها أن تبحث عن نبضاتها، وارتعاشات الحياة تتردد مع أنفاسها) ص133. فالمرأة المتزوجة عادة لا تمتلك جسداً مثيراً، وفي حال تزوجت الحسناء فسرعان ما تنفصل عرى الـزواج وتعود صاحبة الجسد المثير من دون زوج لتحاط بالمعجبين، كقصة (امرأة من حينا).

وثمة طلاق من نوع آخر في قصة (نار ورماد) إنه الطلاق النفسي؛ حيث تجنب الزوجان تبادل الكلام. وتجري أحـداث هذه القصة بهدوء وروية رغم الاضطرابات النفسية؛ لأنها تقع في مكان مغلق: (في أعماقي إحساس بالخواء، والبرودة والمنزل يفتقد فراشة الحب. صرت أميل إلى الهدوء والعزلة، وأبتعد عن الصخب والضجيج) ص111. أما الأماكن المفتوحة فتحضر من خلال تداعيات الذاكرة؛ حيث كان في الماضي الجميل الحب والثرثرة: (تذكرت أيام الحب الجارف. كنا نبحث عن أزهار البرية وأعشابها. نبحث عن البنفسج في شقوق الجبال، ونتحدث عن شرابه اللذيذ المفيد) ص110. وذكريات الحب لا تتعلق بالزوجة؛ بل بالعشيقة الجميلة.

وحضور الزوجة التي بلا ملامح خاصة بها تميزها عن سواها من النساء، ينحصر في إدارة شـؤون البيت، لهذا قد يتعاطف معها الرجل، لأنه يقيم معها في مكان مغلق لسنوات طويلة لا غير، فإقامة الزوجين مدة طويلة لا ينمي الحب ويعزز المودة، بل قد يقتصر على التعاطف من قبل الرجل أحياناً؛ لهذا قد يصف الزوجة برفيقة العمر كما في هذه القصة: (ماذا أفعل؟ إما أن أقطع السكون وآخذها بين يدي، وإما أن أغادر البيت) ص118. وتنتهي القصة من دون اقتراب الزوج من الزوجة، واحتضان جسدها، رغم أن هذا الاحتمال قد ورد في ذهنه، ولكن هذا الشعور العارض بالود البارد تجاه الزوجة لا يتحول إلى فعل. فالأزواج عادة لا يحتضنون الزوجات اللواتي لا يثرن لديهم مشاعر الحب لافتقاد أجسادهن إلى الإثارة؛ بل حتى الرجال عامة لا يحتضنون الحسناوات عدا قصة (كما يحب اليمام) رغم الشبق المحبوس في داخلهم، لأنهم عاجزون عن التواصل الحقيقي الجسدي أو النفسي بالنتيجة مع المرأة.

والتواصل مع الأنثى رغبة داخلية لا تتحقق غالباً في المكان الذي يتواجد فيه الرجال مع النساء، سواء مفتوح أم مغلق، وقد يبدو من الغريب، بعد التعرف على النساء المثيرات والرجال الشغوفين بجمال جسد الأنثى، أن المكان المغلق الذي يجمع بين الجنسين لا يعني عادة النهل من متع الجسد أو التمتع به، لاسيما أن الرجال مشغوفون بتأمل أجساد الإناث الشهية، وهؤلاء لديهن أنوثة فياضة؛ بل يرتبط بالعلاقات الفاشلة في الحب عامة، والزواج خاصة. كما نجد أن الإثارة التي تحققها المرأة مكان تواجدها غير متعمدة منها، وإن هذه الإثارة رد فعل الذكور المتلهفين للنظر إلى أجساد الحسان الشهية، وليست تعبيراً عن التعلق بالمرأة كحاجة نفسية إلى الحب والمشاركة الوجدانية، وحتى في حال وجود الحب، فسرعان ما يفشل لأكثر من سبب، كما في قصة (الأخرى) التي يعشق بطلها بصمت امرأة جميلة لا تمكث طويلاً في مكان واحد في البيوت المغلقة، كالمتزوجات اللواتي فقدن أنوثتهن. فالحسناء المثيرة دائمة التنقل وكثيرة الحركة: (كانت تنتقل من مدينتنا البحرية إلى العاصمة، كما تنتقل العصافير على أطراف الطرقات) ص141+142. وتلك الحبيبة تتزوج زواجًا تعيسًا كبطلات القصص الأخرى؛ فالزواج لا يعرف السعادة الروحية أو الجسدية: (سمعت أنك سافرت وراء البحار بعد أن اختطفك رجل بعمر والدك. فأحسست بحزن يخترق الصدر، هل تبدلت قسمات وجهك الوديع. ذهبت مني وطارت كحمامة مسافرة) ص142.

***

في نهاية رحلتنا عبر المكان مع حِسَان مجموعة (نار ورماد) يسترعي انتباهنا أنها مكتوبة بأسلوب بسيط، ومفردات مألوفة، وجمل معهودة؛ لذلك هي قريبة من القرّاء على اختلاف سويتهم الثقافية. فقصص (عزيز نصَّار) تفسر ذاتها بذاتها، فلا تحتاج إلى تأويلات عديدة، وتكفي قراءة متأنية للإحاطة بها من جوانبها كافة. فهي تتناول أفكاراً لا تبتعد عن مدارك القارئ أيضاً. وأظنها لا تتناقض مع سلوكه وأخلاقه، إذ تقف الشخصيات على شفير الخطيئة، ولا تقع فيها غالباً.

«الغريبة»... مقاربة من العنوان

خليل الموسى

يذهب بعض الدارسين اليوم إلى أنَّ العنوان المحطة الأولى أو الأكثر دلالة وأهمية ووضوحاً وحضوراً من أخواتها في العتبات النَّصية، ولذلك وُضعت في الصدارة وقربَها المؤلف منه، وكأنَّها الزوجة الأخيرة، في حين ترك للمحطَّات النصية الأخرى أمكنة أخرى أقلّ أهمية، ومن هنا ذهبوا إلى أنَّها بمكانة الرأس من الجسد والاسم من المسمَّى؛ بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فقالوا إنَّها تختصر النَّصَّ، وغالى بعضهم فقال: إنَّ ما في العنوان من دلالة أبعد وأعمق وأكثر مما في النّصّ ذاته، وهو يفيض على النص (المتن) بما ليس فيه.

والحقيقةُ أنَّ هذه الأحكام ارتجالية، وإن صارت مألوفة عندنا؛ فالمفاضلة بين العتبات النَّصّية، وخاصةً في التنظير، أمر يدعو إلى السخرية، ووضع درجة محدّدة لكل عتبة أمر يدعو إلى النحيب؛ فالعتبات في الرواية- مثلاً- كعناصر الرواية، فقد يهتمّ المؤلف الضمني بواحدة على حساب الأخريات، أو بعنصر على حساب العناصر الأخرى، فقد يكون مقام الزوجة الأولى- وهي أمُّ الأولاد- أعلى من مقام الثانية والثالثة والرابعة، على الرغم من أنَّها بعيدة عن الزوج، ولكنَّها الحبّ الأول وربَّما كان الأخير، وهي تمثّل زمنَ الشباب وذكرياته، ولكنَّه احتاج إلى الأخريات حبّاً بالتنوّع والتعدّد والاختلاف، وكذا شأنُ عناصر الرواية، ففي رواية ما يبرز الاهتمام بالأحداث وصناعة العمارة الروائية على حساب الشخصيات والزمان والمكان واللغة، وخلاف ذلك صحيح أيضاً، فنقول رواية الحدث ورواية الشخصية ورواية المكان أو اللغة إلخ، وليس معنى ذلك أنَّ العناصر الأخرى لا حضور لها، وكذا شأن موضوعاتها، فهذه رواية تاريخية أو اجتماعية أو أيديولوجية..إلخ، أو هذه رواية الصوت المفرد أو الأصوات المتعددة، وهذه أحكام غير دقيقة على وجه الدقة؛ فكيف تكون رواية وهي تنتمي إلى الوقائع التاريخية أو الاجتماعية أو الايديولوجية..!؟ لكنَّ التسمية تنطلق من مبدأ العنصر المهيمن غالباً.

بناءً على ما تقدَّم فإنّني أذهب إلى مقاربة عنوان ((الغريبة))، وهي رواية فلسطينية لأحمد جميل الحسن، وقد صدرت ضمن منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب بدمشق سنة 2010، فـ ((الغريبة)) مفردة واحدة، وهي نعت معرَّف بال، وكأنَّ هذه الصفة اقتصرت عليها، مع أنَّ الغرباء في الرواية كثيرون، بدءاً من سليم الذي لُفِّقت له تهمتان: اللصوصية والعمالة، وهو براء منهما، إلى مصطفى الزوج الحائر الذي دفعته العادات إلى أن يدمّر حياته؛ ويقتل زوجته وربَّما طفله أيضاً، إلى أبيه الذي لا حول له ولا قوَّة إزاء لسان زوجته أم مصطفى، إلى نادرة التي كانت العامل الأكبر في كلّ ما حدث للغريبة التي حلَّت في بيت الأسرة قبل أن تجدَ هي بيتاً تحلُّ فيه، وكانت أحقادها ولسانها يَتَنَامَيانِ مع تقدمها في الزمن، وتناقص الأمل في أن تجد زوجاً، كما وجدت هذه الغريبة

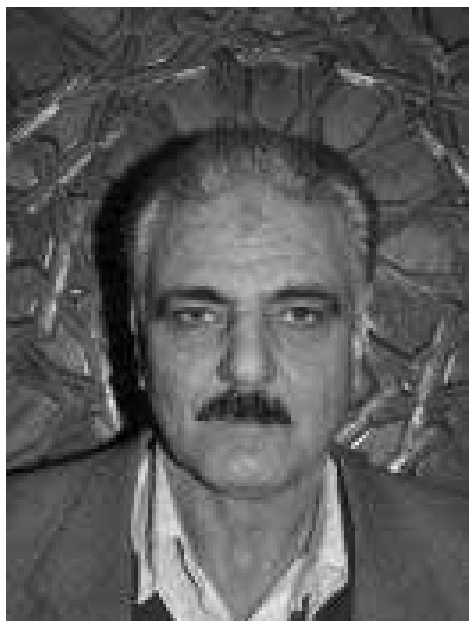

أحمد جميل الحسن

زوجها بالمصادفة ومن دون عناء يُذكر، ولم تقتصر هذه الصفة على هذه وهذا وتلك، وإنَّما هي تمتدّ إلى الشعب الفلسطيني فرداً فرداً؛ فهو غريب في أرضه، وغريب في ترحاله، وغريب في معاناته، وهذا ما أدركه سليم حين تأمّل في وضع الفلسطيني الأليم، فهزَّ رأسه وتمتم: ((غريبةٌ بين غرباء، كلُّ أهل المخيم غرباء في وطنهم)) (ص102)، ولكنَّ المؤلف الضمني ارتأى أن يُقدِّم هذه المعاناة على سواها، فاختارها عنواناً لروايته.

والغريبةُ غريبةٌ أولاً عن اسمها، فهو في الرواية ((زريفة))، والمرادُ ظريفة، وهو من الظرافة والظرف وذي الظرف، وتعني البراعةَ والبلاغةَ في جودة الكلام واللطافة، ومثلُها لطيفة، ولكنَّ النَّاسَ استبدلوا حرفاً بحرف، فإذا هي زريفة، وزرف- لغةً- وثب أو أسرع أو زاد في الكلام وكَذَب، ومع أنَّها لا تعرف الكذب ولم تنشأ عليه، فقد دفعتها الظروف إلى ذلك، فاختلقت الكلامَ اختلاقاً، فلما جلست مع أم بسَّام وأولادها لتناول طعام الإفطار؛ أخذت تسرد عليها سِيرتَها الملفّقة بكلمات متلعثمة: أنا زوجي جندي خرج لمقاتلة اليهود، ولم يعد، ولا أعلم عنه شيئاً، ولما سألتها عن أهلها وأهل زوجها قالت: والدي تُوفي وأنا طفلة، وتكفَّل عمّي بتربيتي بعد أن تزوجت أمي، وليس لي إخوة، وأهل زوجي في الأرض المحتلة (ص175).

وإذا بحثنا عن الأسباب التي دعت المؤلف الضمني إلى اختيار هذا العنوان لروايته، فإننا نجدها كثيرة في النصّ الروائي؛ فهي أولاً شخصية تراجيدية في مجتمع بطريركي، متخلِّف، فهي- كما يراها سليم- لم ترتكب خطأً أو جريمة، ولكن المجتمع لا يرحم، ولا مكانة للمرأة فيه، وهي مولودة لخدمة الرجل وتلبية شهواته، وكأننا مازلنا في عصر الجاهلية، ولم نتقدَّم خطوة واحدة، وعلى المرأة أن تُطيع زوجها وذويها طاعةً عمياء، وأن تكون بلا رأس يفكّر، وبلا لسان يتكلّم، وبلا قلب يحلم؛ فالرجل في هذا المجتمع رأس المرأة، وعليها أن تسعى إلى سعادته وإرضائه بكلّ

جهدها، فهو سيّدها، وله مطلق الصلاحية في حياتها ومماتها (انظر ص86- 88)، وهذا ما حدث فعلاً مع زريفة، فهي من قرية (العابود) وزوجها مصطفى من قرية (اليامون)، وهي لا تعرفه من قبل، ولكنَّ مصيرها ساقها إلى زواج المصادفة، وعلى الرغم من أنَّ زوجها رجل طيّب وقد أحبَّته فعلاً، غير أنَّ شخصيته كانت ضعيفة كشخصية والده، فمصطفى أحبَّ زوجته أيضاً، ولكنَّه لم يكن قادراً على ردّ الظلم عنها، وفي منزله أفعيان حاولتا النيل منها منذ أن وطِئَت قدماها عتبة الدار، فأمّه تستعبدها وتعاملها كجارية أو خادمة مع أنّها حامل، ولا يقتصر الأمر على ذلك، وإنّما تلفِّق الأخبار الكاذبة عن زوجة ابنها، فلما زارت ابنتها الأخرى المتزوجة في قرية رمانة، أخذت تسرد هذه الحكايات على مسمع أمّ رجا حماة ابنتها، وتصف كنّتَها بأقذع الصفات، مع أنَّ أمَّ رجا كانت تَعْلَمُ في سريرتها أنَّ أمَّ مصطفى امرأة كاذبة، ولا تعرف للحقيقة طريقاً (انظر ص 25- 26). أما نادرةُ أختُ مصطفى العانس فهي الطامة الكبرى، فقد كانت تُمنّي نفسَها بأن يتزوج مصطفى من إحدى بنات القرية، لتجد وسيلة للوصول إلى أحد أقارب زوجة أخيه، فلما تزوج من الغريبة طار صوابها، وحقدت على كلّ ما هو طيّب وجميل، وعملت على تدمير حياة أخيها وزوجته، فكميةُ السمِّ في لسانها أعلى بدرجات من كمية السمّ في أنياب الأفعى الرقطاء، ولذلك كانت تخترع التهم وتحرِّك أمّها لتقلب البيتَ رأساً على عقب، ومع أنَّ أخلاق نادرةٍ نادرةٌ في المجتمع البطريركي، ومنها أنَّها تحرَّشت بابن جيران أختِها المتزوجة في رمانة ونعتها بـ ((الداشرة)) (ص26)، فإنَّها تُنصِّب نفسها حارسة للأخلاق والفضيلة، ولذلك وجدت الفرصة السانحة حين اختفت زريفة في الحاكورة وعادت في الصباح، فاستقبلتها حماتُها أولاً ومن دون أن تسأل عن سبب غيابها بقولها: ((وَلِكْ إِلِكْ عين وارْجعتي..تفو عليكِ يا داشرة، يا قليلة الأصل. فعلَّقت نادرة: ((والله يَمَّا ما بتِلْتَام ما دام أخوي نذل)) (ص53).

هكذا بدأت رحلة الغريبة التراجيدية إلى جهة ليس لها فيها أحد، بعد أن حاول مصطفى أن يقتلها بتهمة لم ترتكبها، وبمقاضاة من شهود الزور، وبدأت رحلةُ الألسنة في النيل من سمعتها ونسج الحكايات الملفّقة، مع أنّها امرأة على نقيض ما يُشاع عنها، فقد ظلَّت طوال الرواية على طريق مستقيمة، وكأنَّها أندروماك أو بنيلوب، ولكنَّ القدر الذي دفعها بيد تلقَّاها بأخرى، فأوجد لها رجلاً غريباً مثلها من قرية مجاورة، وهو مطارد مثلها من المختار وزبانية السلطة، وهو سليم الذي ينتمي إلى عائلة الشواهنة في قرية السيلة، وهو مشهود له بالشهامة والرجولة، ثمَّ هو ينتمي إلى تنظيم مسلّح ضدَّ الصهاينة، فلما وقع زميلُه راغب بيد السلطة، وهدّده الرجل الأسود الضخم في أثناء التحقيق بأن يجعل من مؤخّرته عبّارة (ص40) إذا لم يعترف بزملائه، اضطُرَّ إلى ذكر سليم، فلاحقه رجال السلطة، ووجد المختار فرصة ليشيع في السيلة أنَّ سليم وراغب سارقان، ثمَّ ذهب إلى أنهما عميلان ليتشفَّى من الشواهنة، ومع ذلك ظلَّ سليم رجلاً شهماً أقرب إلى رجال الأساطير، فلمَّا استجارت به زريفة كان لها خير أخ في غربتها، وقد نسي المخاطر التي قد يتعرَّض لها، واهتمَّ بشؤونها، ولما انقطع الاتصال بينهما في أثناء النكسة، وجدت أسرة أبي بسام التي ساعدتها وحملتها معها إلى إربد، وكان أبو بسام عوناً لها (انظر ص170 وص186)، كما كانت نساء مخيم الحصن أخواتٍ لها في أثناء ولادتها.

لم تكن الغريبة غريبةً وحدها في هذه الرواية، وإنَّما هناك غرباء وضحايا، فالمؤلف الضمني أدخل حكاية قصيرة ضمن المتن الحكائي الأوسع، وهي حكاية سلوى التي ذُبحت في قرية اليامون غسلاً للعار، ثمَّ تبيّن من التحقيق- بعد ذلك- أنَّ الفتاة لم ترتكب إثماً (ص28- 31)، وهذا ما حدث في نهاية هذه الرواية، فقد كانت زريفة بشوق عارم إلى زوجها مصطفى، مع أنَّه يريد ذبحها، وصار همُّها الأول والأخير أن تسجّل ابنها، وأن تبحث عن عمل في الزراعة لتربيته وتعليمه، ولما جرى الاحتفال بمناسبة الذكرى الثالثة لانطلاقة الثورة الفلسطينية (1965- 1968)، التقت زريفة من دون موعد سليماً الذي كان يخطب في ساحة المخيّم، فصرخت: أخي سليم، فانسلَّ مصطفى من خلفه وأطلق عليها، وهي تحمل طفله، رشقة من الرصاص.

تحتمل هذه النهاية المفتوحة تأويلاتٍ عدّةً: 1- موت الحقيقة 2- موت العدالة 3- انتصار الظلم 4- انتصار العادات والتقاليد 5- انتصار الثقافة الذكورية 6- قتال الإخوة الفلسطينيين (الفلسطيني يقتله فلسطيني)، وإذا عدنا إلى العنوان فإننا نرى أن مفردة ((غرباء)) النكرة أكثر صلاحية لأن تكون عنواناً لهذه الرواية، التي تتمتَّع بمزايا تؤهّلها لأن تكون رواية فلسطينية بامتياز.

قراءة في رواية «أحلام منكسرة» لعيسى درويش

عادل الفريجات

خفاق التزاوج أو التحالف بين الطبقة الكادحة من جهة، والبورجوازية من جهة أخرى، هو التلخيص المجرد لرواية الدكتور عيسى درويش « أحلام منكسرة » (دمشق 2009). أما التفصيل المجسد لتلك الفكرة، فيتمثل بقصة زواج إلهام الشوفاني من سعد الفوزان، الأولى تنتمي إلى أسرة فقيرة، والآخر ينتمي إلى أسرة بورجوازية تملك مصانع للنسيج، وتسعى إلى زيادة ثروتها يوما إثر يوم. ولكن هذا الزواج لم ينجم عنه أبناء بسبب عقم سعد الذي ورثه من سلوكه المنحرف في شبابه، وقد انتهى بالانفصال في اليوم الذي وقع فيه انفصال سورية عن مصر في العام 1961. فكان لدينا عقمان: فردي وجمعي، وانفصالان: عائلي وسياسي.

وعليه، فالفردي والجمعي تماهيا بقوة في هذه الرواية، وقد بذل الروائي (درويش) جهدًا طيبًا، ليمثل الطرفان صورة وأصلاً، أو أشعة وظلالاً.

وينقلنا الزمن السابق إلى الفترة التاريخية التي تعنى بها الرواية، وهي لا تزيد عن سبع سنوات ما بين 1954 و1961. وهي سنوات نهوض قومي عربي واضح وقوي، تجلى بثورة الجزائر عام 1954 وتأميم قناة السويس وصد العدوان الثلاثي على مصر في العام 1956، وتحقيق الوحدة بين مصر وسورية في العام 1958... الخ. والمعروف أن الروائيين يؤرخون ما لا يقوى المؤرخ المختص على التفصيل فيه. وفي تاريخ سورية وبلاد الشام كتبت (ناديا خوست) رباعيتها المعروفة: حب في بلاد الشام، وشهداء وعشاق في بلاد الشام، ووداع ولقاء في بلاد الشام، ودماء وأحلام في بلاد الشام، الصادرة ما بين عامي 1995و 2005. أما تاريخ سورية من العام 1914 وحتى العام 1946 فقد كان موضوع ثلاثية عبد الكريم ناصيف « تغريبة آل المر « الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بين سنتي (1992ـ 2000). وجاءت هذه الرواية لتؤرخ لخمسينيات القرن العشرين في سورية.

ولا بد من التذكير هنا أن حديث الروائي الذي يتخذ من التاريخ الغابر محوراهو حديث تخييلي في ثلاثة أرباعه، بينما ينحصر التاريخي في عمله في ربع العمل فحسب، وذلك لأن التاريخ معرفة والرواية تحليلو التاريخ علم أو يكاد، والرواية فن أولاً، وان تلبست بالتاريخ... والأحداث في التاريخ تبدو أحيانًا كأنها تحدث بلا أناس يصنعونها من العامة، أو كأنها تصنع من الملوك والسلاطين فحسب، ويبدو الناس من خلالها كأنهم صخور صماء في حين يبدون في العمل الروائي مفعمين بالدوافع والعواطف والأمنيات. إنهم، رجالاً ونساء، ذوو هواجس وهموم، وهم يفرحون ويحزنون، ويعشقون ويتزوجون وينجبون، وينجحون ويخفقون... الخ.

ومن خلال أكثر من عشرين شخصية ظهرت في هذه الرواية قدم عيسى درويش صورة مكثفة، ولا أقول تفصيلية، عن الواقع الاجتماعي والسياسي في سورية، ففي عائلة إلهام الشوفاني بطلة الرواية شابان هما أحمد ومحمد. أحمد بعثي ويعمل محاميًا. ومحمد شيوعي ومد رس فلسفة. وقد تزوج من فتاة مسيحية متحديا الأعراف والتقاليدومن أقارب الهام الضابط عبد الغني الصالح الذي تولى مهمة التحقيق في مؤامرة حيكت لقلب النظام، كان بينها من هم أقارب سعد زوج الهام. وعبد الغني واحد من شريحة الضباط التي كانت تصر على الوحدة مع مصر. أما حزب محمد الشيوعي

عيسى درويش

فهو يحذر من وحدة غير مدروسة مع مصر في حين يدور في حزب البعث حوار حول الوحدة الفورية أو الوحدة المتدرجة. وفي قيادة الجيش يتركز الجدل على الوحدة الاندماجية مع مصر، أو انقلاب عسكري يفرضها فرضًا.

ومن الزاوية المقابلةفان البورجوازية التي يمثلها سعد الفوزان ووالده، فمنهمكة بتطوير صناعة النسيج والتوسع في الثراء وزيادة الأرباح على حساب جهد العمال وظلمهم وقهرهم. ولهذا كانوا يخططون في معمل الفوزان للقيام بإضراب لرفع الأجور وتخفيض ساعات العمل. وكان سعد يرى في العمال جماعة مرتبطة بالبعثيين والشيوعيين والقوميين وكلهم فاسدون، بل يذهب إلى أن هؤلاء كالسجاد كلما داسته الأقدام كان جيدا أكثر... بيد أن لإلهام رأيًا آخر؛ فهي ترى في العمال بشرًا مثلنا لهم عواطف وعائلات وأولاد. وهم أساس نهوض المجتمع (الرواية، ص 142ـ 143). وحين يسمع سعد أقوال إلهام يتهمها بأنها صارت اشتراكية كأخوتها، فتغضب إلهام من زوجها. وتقول له: إن كنت مصدر إزعاج لك، فأمامك الطلاق. والحق أن الطلاق قد تم بين الزوجين بعد مشاحنات كثيرة بينهما وبعد اتضاح عجز الأطباء في فرنسا عن معالجة عقم سعد. وكان ذلك اليوم هو يوم الانفصال بالذات،ويصور الروائي ما حدث يوم المخالعة بين الهام وسعد فيقول: « في يوم المخالعة... شعر الناس في دمشق بأشياء غير اعتيادية؛ قوات من حرس البادية احتلت بعض الشوارع والمقار الحكومية، قوات عسكرية من قطنا زحفت على الإذاعة ورئاسة الأركان وطوقت قصر الضيافة... والبيان رقم واحد من اللجنة الثورية للقوات المسلحة تنتقد أساليب الحكم الديكتاتورية في سورية في زمن الوحدة، وإذلال الضباط وكثرة الاعتقالات، وتطلب من عبد الناصر إصلاح الوحدة. إذاعة القاهرة تذيع بصوت عبد الناصر أن حفنة من الضباط العملاء المتضررين من التأميم هم الذين قاموا بالانقلاب. بيانات وبيانات مضادة واحتمالات صدام عسكري، والشعب يتظاهر مع الوحدة وضد الانفصال ومع الإصلاح في الوحدة وضد الديكتاتورية. حسمت الأيام المسألة، انفصلت سورية عن مصر وتشكلت حكومة الانفصال وبكى عبد الناصر وبكى كثيرون، وشمت كثيرون « (الرواية ص 195).

سقت هذا النص الطويل نسبيًا لأمرين اثنين، أولهما: أن تفصيلات أكثر كنا ننتظرها ها هنا، وفي موضع الحديث عن التخطيط للانفصال، فنحن لم نعثر على أية وثيقة تاريخية أو أية احالة إلى كتاب تاريخي حول هذا الحدث الجلل، الذي لا يمكن أن تغطي كل أسراره والتباساته وأبعاده بضعة سطور فقط. و ربما لا يطالب الكاتب بما كان يفعله الروائي صنع الله ابراهيم في روايته» ذات «. أو روايته «أمريكانللي»؛ حيث كان يسوق بعض المعلومات التي يستثمرها في سرده مقرونة برقم العدد للصحيفة المنقول عنها وتاريخه. لكننا طمحنا لبعض معالم محددة من التوثيق التاريخي ومن التحليل الأشمل لواقعة الانفصال. ومن هو مثلاً رئيس الحكومة التي تشكلت بعد الانفصال؟ ومن هم الضباط الذين قاموا بهذا الانقلاب؟ وما هي اتصالاتهم بالرجعية العربية ودوائر الاستخبارات الغربية. قد يكون المتتبع عارفًا ذلك، ولكن القارئ العادي ربما لا يعرف كل التفاصيل والأسرار.

والأمر الثاني الذي يفرزه النص الطويل السابق هو المصادفة التي اصطنعت ليكون يوم الانفصال بين القطرين، مطابقًا ليوم المخالعة بين الزوجين. فهذا شأن يعني أن الكاتب كان يعرف كيف يقود جواده السردي، ففي السرد لا معنى لأن يدخل عنصر ناشز، أو يؤتى بحدث لا ارتباط له بالمسار العام، أو يحشر أمر حشرًا عشوائيًا بلا وظيفة أو دلالة. وعليه فقد بدا (عيسى درويش) هنا وكأنه يطبق جوهر قولة (إدغارآلان بو) وهو « إن الكاتب الجيد هو من يضع نصب عينيه السطر الأخير عندما يكتب السطر الأول. وهذا ما فعله بوضوح عبد الكريم ناصيف في روايته « المخطوفون « وفي ثلاثيته « تغريبة آل المر « وما فعله الروائي حيدر حيدر في روايته « شموس الغجر « وروائيون آخرون كثيرون.

واذا كنا هنا نقارب بعض التقنيات في سرد الكاتب، فإننا نراه يطور سرده باستخدام طرق مختلفة منها مثلا :

ـ ان فوز الهام بمسابقة ملكة جمال الربيع، وانتشار صورها في الصحف والمجلات، أغرى سعدا بالزواج منها، فعرض عليها وظيفة سكرتيرة في شركة والد سعد، وتم التعارف والخطوبة والزواج.

ـ إن اصطناع حالة العقم عند الزوج فاقم الخلاف بين الزوجين، وكسر أحلام الزوجة، ولكنها رغم تمتعها بأخلاق رفيعة ووفاء نادرطلبت الطلاق ليكون طلاقها يمثل (تورية) تعني في وجهها الآخر طلاق سورية من وحدتها مع مصر، وانكسار أحلام الأمة كما انكسرت أحلام الهام.

ـ وقع استثمار جيد للوحة التي رسمها الفنان فاتح الحلبي لإلهام والتي كانت معلقة في صدر بيتها، فكثيرًا ما طور السرد أو كشفت خفايا نفسية من خلال مناجاة الهام للوحتها في صدر غرفتها، وذلك على نحو يذكرنا برواية «لوليتا « للروائي الجزائري « واسيني الأعرج «. وفيها كانت بطلته تناجي لوحة «المجدلية على ضوء الشمعة « كاشفة عن هواجسها و رؤاها وأفكارها.

ـ دعمت تلك الأحداث بأحداث مصيرية على مستوى الأمة جمعاء، كان أهمها تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي على بور سعيد وثورة الجزائر البطولية، ثم الانفصال الذي حاكى المخالعة محاكاة تامة. في حالة من التماهي ما بين الفردي والجماعي أو الخاص والعام.

ـ لا بد من الإشارة إلى أننا نعاين في أي سرد اختصارًا وحذفًا وقفزًا وتفصيلاً. وهذا ينطبق على السرد الذي نعاينه. ومن أشكال الاختصار مثلا الإشارة المبتسرة إلى أحوال الفلاحين في سورية. والكاتب يبدو متعاطفًا بوضوح معهم. وهو في الموضع الذي عرج فيه على شؤونهم استشهد بما كتبه عنهم (فرانز فانون) في كتابه «المعذبون في الأرض». وقد أشار الكاتب إلى عراكات في المجلس النيابي السوري في خمسينيات القرن العشرين حول قانون تهجير الفلاحين. وهنا لا بد لي من إضافة مآلها أن المرحوم (أكرم الحوراني) هو الذي كان وراء المرسوم بعبارة واحدة تمنع تهجير الفلاح من الأرض التي يعمل بها. وقد قرأت ذلك في مذكراته التي طبعتها مكتبة مدبولي في مصر في أربعة أجزاء ضخمة.

والحق إن الإشارة لفرانز فانون لم تكن الإشارة الثقافية الوحيدة في الرواية، فثمة تناص واضح مع إحدى مسرحيات طاغور، ورواية ارنست همنغواي « الشيخ والبحر « وبعض أقوال سقراط. وإشارات عجلى لشعر نزار قباني والنجفي وبدوي الجبل وآخرين. وهي إشارات كان يمكن أن تكون أكثر غناء وتوظيفًا. فقصيدة نزار قباني مثلاً « خبز وحشيش وقمر « نوقشت في المجلس النيابي السوري في الزمن الذي تدور حوله الرواية، وطالب بعض النواب بطرد نزار من وزارة الخارجية لجرأته في قصيدته تلك، ولم تنجح تلك الدعوى. وهذا موقف ثقافي وسياسي ينفتح على الحرية والتخلف والاستبداد في مجتمعنا، يمكن أن يستثمر أيضا على نحو أكثر تفصيلاً.

وقرأت في الرواية عبارات سقطت منها بعض الكلمات، فبدت قاصرة ومبتورة، منها قول الكاتب: « وإذا كانت أقدار الرجال أن يكون العقم سبيلاً للفاقة أو الظلم، فكيف يكون العقم في الأمة ؟ وكيف يكون الظلم سببًا في تدمير الإنسان والأمة؟ وكيف تكون سرابًا كما كانت أحلامي في الحب والأطفال سرابًا؟»(الرواية ص 195). والأسدُّ لغويًا أن يقال «وكيف تكون أحلام الأمم سرابًا كما كانت أحلامي سرابًا». ويبدو أن كلمة «أحلام الأمم» قد سقطت سهوا هنا، فاختلت العبارة.

ومهما يكن من أمر، فإن الشرطين الأساسين في كل رواية ناجحة قد توفرا هنا، وهما الإيهام والإمتاع. فرواية عيسى درويش كانت موهمة و ماتعة.

الشخصيّة في القصّة الطفليّة
قصّة «الأميرة العمياء» أنموذجاً

محمّـــــد قرانيـا

نهضت قصّة «الأميرة العمياء» لـ «د. صلاح إبراهيم» (1) على شخصيّةٍ وحيدةٍ هي «الأميـرة»، وجـاءت صورتها أو شخصيّتها المرسومة- في القصّة- خلافاً لما هو متعارَفٌ عليه، من حيث الجمال والحبّ والرقّة والشفافية التي تتمتّع بها شخصيّات الأميرات المحبوبات من شعوبهنّ في الموروث الحكائيّ الشعبيّ. (2)

يدور حدث القصّة حول أميرةٍ، تكاثرَ المنافقون في مملكتها، فعزمت على تطهير البلاد منهم، والقضاء على النفاق، لأن «الواجب يحتّم عليها أن تخلّص المملكة من أخطارهم التي تبدو للعيان- وللوهلة الأولى- صغيرةً، أمّا في حقيقة الأمر فهي أخطارٌ جسيمةٌ» ص (11) واتّخذت الأميرةُ لذلك أُهبتها، فـ«حملت الفانوسَ بيدها اليسرى، والعصا بيدها اليمنى، وأقسمت أن لا يهدأ لها بالٌ حتّى تقتل كل المنافقين في مملكتها الصغيرة، بعد أن وصلتها أخبار نفاقهم الذي فاحت رائحته، وأصبح يبعث على الاشمئزاز والقرف.». ص (10) وحين جدّت الأميرة في البحث عن المنافقين، فوجئت بأنْ وجدت الناس في الشوارع على جانبٍ من الأخلاق والتهذيب، كما وجدت الساحات خاليةً من المنافقين، فحيثما حلّت «كانت تسمع بعض الأصوات الوديعة والهادئة والبريئة تخاطبها باحترام، وتتمنّى لها التوفيق في مهمّتها هذه التي شاع خبرها في أرجاء المملكة بسرعة البرق» ص (11) ونتيجةً لذلك، اعتقدت «الأميرة» أن النفاق- بعد أن دخل المملكة- اصطدم بنفوس أبنائها الأباة، فخرج إلى غير رجعةٍ، وأن حَمْلَتَها على المنافقين لا مسوّغ لها، وقد فرحت كثيراً، لأنها وجدت شعبها أشبه بالملائكة، فانطفأ الفانوس، وسقطت العصا من يدها، وهنا نهض المنافقون «وبسرعة البرق، سرق أقرب المنافقين من الأميرة العصا، وبدأت الأصوات تتعالى، والنبرات تزداد حدّةً وقساوةً» ص (15) تطالب بالتنكيل بالأميرة وإعدامها.

تحرّكت الأميرة بحكم موقعها في السلطة وحيدةً، نتيجة مناخٍ عامّ سائدٍ في المملكة، مناخٍ نفسيّ يفيض عن حاجة الحكاية في القصّة الطفليّة. غنيّ بالهواجس الإيجابيّة ومن ثم السلبيّة.

قدّمت القصّةُ شخصيّة الأميرة إلى القارئ بشيءٍ من الترميز، إذ لجأ الكاتب إلى الابتعاد عن عالمه الماثل، وتأثيرات المحيط، وفارقَ الأبجديّة الواقعيّة، واندفع للانتقال إلى عالم الإمارة وأناسها، ومكمن الرؤى والمشاهد والأفكار المكبوتة، فوارب أبوابه، ونفث ما لديه من امتزاجٍ وتداخلٍ وإسقاطٍ، تعبيراً عن جوّ من القلق، متقصيّاً أبعاد الإحساس بالكلام، ليس على المستوى الأدبـيّ، بل بما لوظيفته التشخيصيّة من قـدرةٍ على معرفة نزوعات النفس وامتداداتها السوسيولوجيّة. فكان تخيّل «الأميرة» الذي ولّد حالةً من التداعيات الحرّة، وبعضاً من الحوارات الداخليّة، شكّلت جزءاً فنيّاً هامّاً من عناصر القصّة، لأنها عملت على توضّح طبيعة الشخصيّة، وعبّرت عن مدى وعيها بالقضيّة التي تشتغل عليها، تجلّت في تلك الهواجس التي دارت في داخل شخصيّة «الأميرة»، من دون وجود محاورٍ، منبثقةً عن رؤيتها، فغدت الحوارات حديثاً لا مستمع له؛ لأنه حَديثٌ غير منطوق: «قالت في نفسها: «النفاق لا يدرّس في المدارس، ولا في الجامعات ولا يُمزج مع أي نوعٍ من أنواع الطعام..» ص (12) «وافترضت أن النفاق الذي يتحدّثون عنه قد يكون عدوى حملتها ريحٌ عاتيةٌ من بلادٍ بعيدةٍ، حطّت ورحلت على الفور عن مملكتها. بعد أن اصطدمت بنفوس سكّان المملكة الأباة الذين احتقروها وطردوها، وبعد أن وجدت أن المناخ هنا غير مناسبٍ، والتربة غير صالحة». ص (14)

انعكست في الحوار الداخليّ المشاعر متكسّرةً في تموّج اندفاعاتها، التي تجلّت في عزم «الأميرة» وتصميمها على فعل شيءٍ إيجابيٍّ على الأرض، تُغيّر به القبحَ الإنسانيّ المستشري في نفوس أهل المملكة، ومن ثم، نكوصها، بسبب انخداعها السهل بالمظهر، والانفلات من الضوابط المنطقيّة، وعدم تمييزها بين النفاق والصدق، في فروقاتٍ حادّةٍ بين المنظور والمستور، والخادع والمخدوع، أثّرت على شخصيّة الأميرة، وعكست مدى ثقافتها ومكوّنات تفكيرها الساذج، الذي حدا بالكاتب كي يصفها بالعمياء. فضلاً عن أن الأميرة كانت ذات شخصيّةٍ غير عاديّةٍ، منفردةً في حكمها، وأقدمت على عملها وحيدةً من دون الاستعانة بصاحب رأيٍ أو مشورةٍ.

توالت المؤشّرات الإيجابيّة الدالّة على شخصيّة الأميرة، فبدت تارةً واعيةً، تحبّ الصدق، والخير، والبراءة: «لماذا لا تكون كل أحاديث البشر صادقةً ومفعمةً بالبراءة والطيبة وحبّ الخير؟ لاسيما وأن البشر جميعاً يرجعون في انتمائهم إلى الأب آدم والأم حواء عليهما السلام.» ص (12) وبدت تـارةً أخرى ذات عزمٍ وتصميمٍ: «الواجب

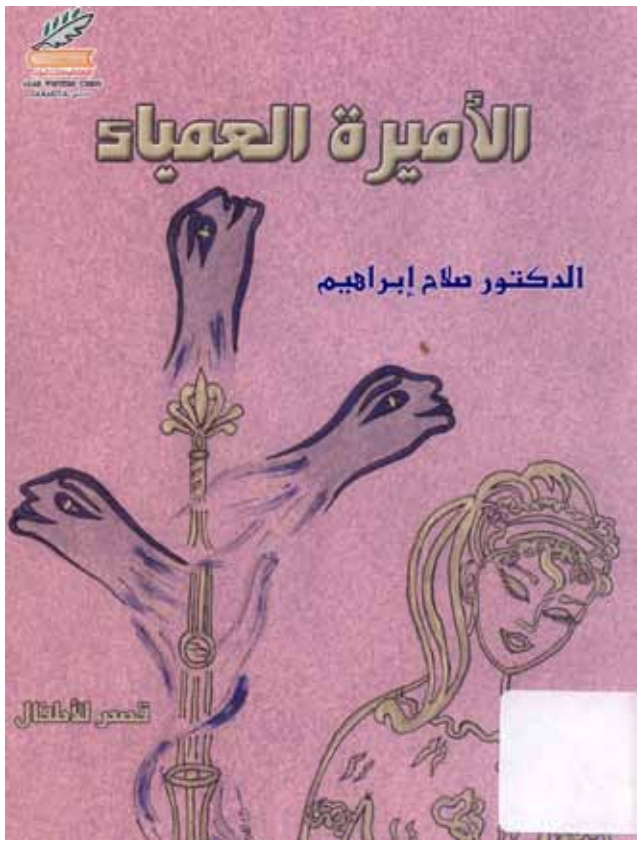

يحتّم عليها أن تخلّص المملكة من أخطارهم» ومن ثم بدت جادّةً في مسعاها: «حملت الأميرةُ الفانوسَ بيدها اليسرى، والعصا بيدها اليمنى، وأقسمت أن لا يهدأ لها بالٌ حتّى تقتل كل المنافقين في مملكتها الصغيرة..».

كما تجلّت قوّة الشخصيّة، والإرادة القويّة في حمل (العصا).. التي تعدّ سلاحاً ضرورياً لتأديب المنافقين ضعاف النفوس.. لاعتقادها أن: «مـن كـان حديثه نفاقاً كـان ضعيف الشخصيّة، مهزوزها، لا خير فيه ولا أمل منه، ولا ثقة بأقواله.» ص (12)

ولعل من أهمّ سمات شخصيّتها الإيجابيّة، حبّها لمملكتها، وحمْلِها (الفانوس) الذي يرمز إلى نشر النور والعلم والمعرفة، الذي هو ضدّ العمى والجهل والظلام، إذ: «كانت رغبة الأميرة كبيرةً بأن تكون مملكتها نظيفةً وخاليةً من المنافقين.» ص (12) لأنهم «أصبحوا يعيقون عجلة التطوّر بالمملكة الوادعة.».

أما المؤشّرات السلبيّة التي وسمت شخصيّة الأميرة، فلم تكن حاضرةً في السرد بصورةٍ مباشرةٍ، وإنما تركت للقارئ الحصيف مهمّة استنتاجها بنفسه، واستخلاصها في النهاية، نتيجة سهولة انخداع الأميرة بالناس الذين كانت تلتقيهم عندما كانت تحمل الفانوس والعصا، فما إن انطفأ الفانوس وسقطت العصا، حتى ظهر الناس على حقيقتهم، وطالبوا بإنزال أشدّ العقوبات بها.

إن الدوافع التي دفعت الأميرة للقيام بعمليّة البحث عن المنافقين إنما هي دوافع واضحةٌ ومنطقيّة. لأن الشخصيّات في الأعمال الأدبية- كما هي في واقع الحياة- هي التي تقرّر الأحداث. لكنّ حبّ الوطن والعزم والتصميم والنيّة الحسنة، كلها لم تكن لتكفيَ الأميرةَ كي تخلّص المملكة من شرور النفاق، وإنما يحتاج الأمر إلى التقصّي والتدقيق وإعمال العقل، والتعاون مع الآخرين، لكشف الناس على حقيقتهم، وهذا ما لم يحدث، لقصورٍ في شخصيّة الأميرة، وفي ذلك دلالةٌ على هشاشة الشخصيّة، التي لم تستعمل عقلها وبصيرتها للوقوف على جليّة الأمر، فكانت (عمياء) في عدم تمييزها بين النفاق والصدق، والخداع والحقيقة، ممّا أفسح المجال لتكاثر المنافقين في المملكة.

ترك الكاتبُ الأميرةَ من دون اسمٍ، معتمداً في تقديمها للطفل القارئ على العاهة، للتأكيد على أن رسْم شخصيّتها بهذا العيب، وبهذه الصورة الهشّة، كان رسماً فنيّاً مقصوداً، لأن الأميرة- ككل إنسان- تخطئ وتصيب. وأن الحياة مزيجٌ من الخير والشرّ والقبح والجمال... أيْ أن شخصيّة الأميرة لم تُرسَم بصورةٍ مثاليّةٍ، وإنما رُسِمت بصورةٍ أقرب للواقعيّة، تثير فضول الأطفال.

كما ترك ملامحها الجسميّة الخارجيّة غائبةً، لتظل ضمن إطار الشخصيّة المسطّحة، ثابتة الملامح، واقتصر في الرسم على بعض الملامح الداخليّة، بغية إبراز الهدف التربويّ في السلوك الشخصيّ، والمغزى الخلقيّ والاجتماعيّ الذي تنطوي عليه القصّة، والذي ينبّه بصورةٍ عفويّةٍ إلى خطر النفاق، الذي يهدّد المجتمع، ومن ثم، ضرورة التفكير، وإعمال العقل، في المواقف الحرجة.

ونظراً لفرادة الأميرة ببطولة القصّة، فقد استلزم أن تكون شخصيّات المنافقين غائمةً، بوصفها شخصيّاتٍ ثانويّةً عامّةً، ولكنها تشارك في نموّ الحدث القصصيّ، وبلورة معناه، والإسهام في تصويره. ويلاحظ أن وظيفتها أقل قيمةً من وظيفة الشخصيّة الرئيسة، على الرغم من أنها تقوم بدورٍ يؤثّر في حياة الشخصيّة الرئيسة. فتُظهر- في ساعات الخوف غير ما تُخفي، وهي ما وُجدت في القصّة إلاّ للمساعدةً على بلورة شخصيّة الأميرة، فلم تَظهر- في النصّ- صورةٌ لأحد المنافقين، إذْ ما إن تبدو الأميرةُ للعيان في مكانٍ حتى يلبس الناس أثواباً برّاقةً، فتراهم كالحملان الوديعة، فإذا ما غابت خلعوا جلودهم، وعادوا إلى طبائعهم التي اعتادت على النفاق، في غياب السلطة وعصاها الضاربة: «ما إن انطفأ الفانوس وسقطت العصا، حتى- وبسرعة البرق- سرق أقربُ المنافقين من الأميرة العصا، وبدأت الأصوات تتعالى، والنبرات تزداد حدّةً وقساوةً، بعضها يطالب بقطع اليد التي كانت تهدّدهم وتحمل العصا، وأخرى تطالب بسجن الأميرة مع الأشغال الشاقّة، وثالثٌ يطالب بإعدامها، بحجّة أنها كانت تشكّل خطراً حقيقيّاً على جيش المنافقين.» ص (15)

لقد انحصر دور الشخصيّات الثانويّة- على الرغم من أنها شخصيّاتٌ جمعيّةٌ غائمةٌ، من دون ملامح محدّدةٍ- في إبراز حقيقة تفكير الأميرة، وشرْح مواقفها، وكشْف طرائق تفكيرها، وأسلوبها السطحيّ في استجلاء الحقيقة، وعدم الغوص في أعماق الوجود، وانخداعها بالمظاهر البرّاقة، ومعسول الكلام. وبمعنى آخر؛ فإن الشخصيّات الثانويّة طرحت صورة الوجه الآخر لبطلة القصّة، التي يرتبط حدث النصّ بشخصيّتها.

وعدم اهتمام الكاتب برسم ملامح الشخصيّة الخارجيّة في قصّة الأطفال، تقليدٌ أدبيّ فنيّ سائدٌ، عُرِف في المصطلح النقديّ بـ(الشخصيّة المسطّحة) إذْ كثيراً ما تُرسَم الشخصيّة بإيجازٍ، فلا حاجة للاعتماد على الوصف في تصويرها، لأن الرسوم الملوّنة التي تصاحب القصّ عادةً- تقوم بتجسيد الصفات الجسميّة والمظهر الخارجيّ للشخصيّة، فتعمل ريشة الفنّان على وضع لمساتٍ معبّرةٍ تعكس طباع الشخصيّة، بينما يعمد الكاتب إلى الحوار والحدث لتوضيح سمات هذه الشخصيّة. على الرغم من أن الحدث ينمو ويتبدّل، ويؤول إلى نهايةٍ معيَّنةٍ. وهذا من شأنه التأكيد على أن قصّة الطفل قصّة (حادثة) وليست قصّة (شخصيّة)، ولعل كاتب الأطفال يستجيب لذلك، وربّما يجد راحته في التركيز على الحدث الحكائيّ، والتأثيرات السرديّة الواسعة، أكثر ممّا يجدها في رسم الشخصيّات، لأن الحكائيّة مطلبٌ طفليّ ملحٌّ، على الرغم من أهميّة الشخصيّة القصصيّة، التي تمثّل نقطة ارتكازٍ أساسيّةً، تتمحور حولها جميع مكوّنات الخطاب القصصيّ، و«إن القصّة- في الأصل- هي فنّ الشخصيّة»، ولكن كاتب القصّة لا يعالج الشخصيّة ليَخرج منها بدلالاتٍ اجتماعيّةٍ محدّدةٍ، كما هي الحال في قصص الكبار، بل يطرح الشخصيّة لتتفاعل مع حادثةٍ معيَّنةٍ.

الهوامش:

1- د. صلاح إبراهيم. المجموعة القصصيّة: الأميرة العمياء. اتّحاد الكُتّاب العرب. دمشق 2004

2- يثير عنوان القصّة «الأميرة العمياء» بصيغته الوصفيّة مشاعر الطفل القارئ، نظراً لعاهة العمى التي وُصفت بها الأميرة، والتي تدفعه إلى تصوّر شكل العينين الحسيّ.. وهذا ما لم يأت عليه سياق القصّة. فكانت الأميرة حاكمةً في مملكةٍ يسود النفاق بين أفرادها.

«مدارس القدس ومكتباتها» .. في كتاب للباحث محمد عيد الخربوطلي

أوس داوود يعقوب

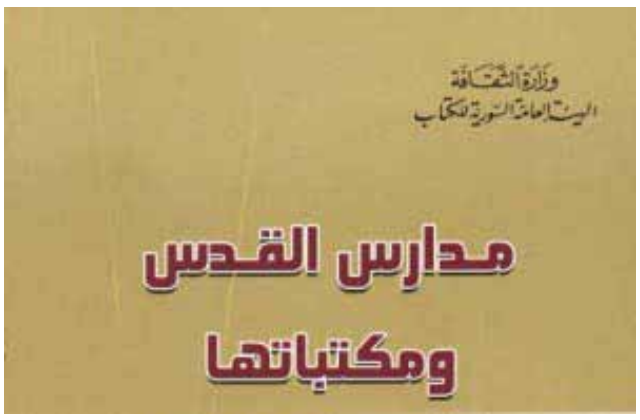

صدر مؤخراً عن الهيئة العامة السورية للكتاب دراسة بعنوان «مدارس القدس ومكتباتها» للباحث الزميل محمد عيد الخربوطلي، الذي عمل على توثيق دقيق لمدارس و مدينة القدس مكتباتها وتاريخ بنائها ونشأتها؛ سواء أكانت إسلامية أو مسيحية، في محاولة لحفظ التراث الثقافي والحضاري لهذه المدينة التي يتم سرقتها وتزوير واقعها كل يوم من قبل أعداء الأمة العربية.

في مقدمة كتابه يتحدث الباحث الخربوطلي عن فضائل؛ بيت المقدس، ويؤكد أن أدب فضائل المدن «من أشهر أصناف أدب الفضائل، وهو نوع من التاريخ المحلي لمدينة معينة، يتحدث عنها ويصف محاسنها»، والعناصر التي تقاس بها المدن من حيث قداستها ثلاثة عناصر أساسية وهي: الفضل الذي تتمتع به المدينة بسبب تبركها بقبور الأنبياء أو الصحابة، أو بعلاقتها بالأنبياء والرسل والصالحين؛ إضافة إلى الدور الذي خصص للمدينة في خلق الكون، والدور الذي ستلعبه المدينة يوم القيامة، وبمقتضى هذه المقاييس - كما يورد الكاتب - نالت مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس المكانة الأولى بين المدن في فضلها.

ويشير الكاتب إلى أن المصادر الأولية التي استند إليها كتّاب الفضائل لتأكيد قداسة بيت المقدس «كثيرة متنوعة لكن سندها الأساسي القرآن الكريم وتفاسيره»، والمصدر الثاني لكتب الفضائل الأحاديث النبوية، «وهي أغزر المصادر؛ فقد حفلت كتب الفضائل بالأحاديث النبوية التي تتصل ببيت المقدس».

وفي هذا السياق يورد الكاتب عدداً منها ولعل أشهرها: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى».

ويؤكد الخربوطلي أن الباحثين لم يعثروا في تاريخ القدس على مدارس عُرفت قبل العصر الأيوبي «إلا مدرسة واحدة أنشأها الفاطميون». ويضيف: "عصر المدارس الحقيقي بدأ في القدس بعد تحريرها عام 583 للهجرة، فقد كان من أول أعمال صلاح الدين بعد الفتح تأسيس المدارس والمعاهد العلمية، وزاد في خزانة كتب المسجد الأقصى".

مشيراً إلى أنه لم يتم العثور في تاريخ القدس على مدارس عُرفت قبل العصر الأيوبي «إلا مدرسة واحدة أنشأها الفاطميون».

وأضاف: «إنه من بعد الناصر صلاح الدين سار الأيوبيون سيرته، فأسسوا المدارس، وأكثروا منها، وكانوا ينتقون لمدارسهم أنفس المخطوطات وأصحها، كما كانوا يختارون مدرسيها من خيرة أفاضل العلماء، ومن بعد الأيوبيين جاء المماليك الذين امتاز عهدهم بالعمران، وكان نصيب القدس من هذا البناء عظيماً، وتهدم بعض المدارس التي أقامها المماليك مع بداية العهد العثماني الذي خفتت خلاله أسهم المدارس، وارتفعت أسهم الزوايا والتكايا».

العصر الأيوبي.. بداية النهضة العلمية

قسم الباحث كتابه إلى قسمين رئيسين؛ أولهما اختص بالمدارس؛ حيث ترد فيه نشأة هذه المدارس في القدس منذ العصر الأيوبي وما تلاه وتحديداً بعد تحريرها من الصليبيين، فيذكر الخربوطلي ثلاثة وستين مدرسة إلى جانب دارين للحديث تم وصفها وتحديد مكانها وتاريخها وعملها.

ويقدم الخربوطلي تفاصيل تاريخية تخص أغلب مدارس القدس بدءاً بالمدرسة «الأشرفية»، و«الأفضلية»، و«الإبراهيمية»، و«الأباصيرية»، مروراً بالمدرسة «الأسعردية»، و«الأمينية»، و«الأوحدية»، و«البدرية»، و«البلدية»، و«البارودية»، و«التنكزية»، و«الخاتونية»، و«الحنبلية»، و«الجراحية»، وانتهاءً بالمدرسة «الجوهرية»، و«الدوادارية»، و«السلامية»، و«الصلاحية»، و«الوجهية»، و«دار القرآن السلامية»، و«دور الحديث في القدس»، وسواها.

كما ضم القسم الأول أيضاً (الزوايا)، التي يؤكد الباحث أنها عُرفت في جميع أنحاء البلاد العربية الإسلامية، وكانت بمنزلة مدارس دينية ودور لضيافة الفقراء، ومعظم زوايا القدس التي ما زالت قائمة تعود إلى عصر المماليك الذين أكثروا منها، وقد عرفت القدس أكثر من أربعين زاوية؛ منها ما هو مرتبط بالمتصوفة؛ حيث قدم الخربوطلي فكرة مبسطة عن كل زاوية من زوايا بيت المقدس. وأورد بالوصف والتوثيق سبعاً وثلاثين زاوية. ويستشهد الباحث بتعريف (الشهابي) للزاوية: «هي بمثابة مدرسة دينية ودار ضيافة للفقراء وللمتصوفين المتنقلين عبر البلاد من زاوية إلى أخرى طلباً للعلم».

وجاء في ذات القسم ذكر (خوانق) بيت المقدس؛ حيث بلغ عددها تسع، ومفردها خانقاه أو «خانكاه» وهي كلمة فارسية تعني المكان الذي ينقطع فيه بعض الناس للعزلة أو العبادة، وغالباً ما كانت تبنى على شكل مساجد الصلاة، إلا أن فيها غرفاً عديدة لمبيت الفقراء والمتصوفة.

وتضمن الكتاب باباً مخصصاً بما يسمى (الرباط) الذي اتسم ببعد اجتماعي ومدني كمأوى للفقراء والعجزة والأرامل يقدم فيه الطعام مجاناً للمسافرين. كما تم الحديث عن ثلاث (تكايا) في القدس وهي مزار أو مقام لأحد الأولياء الصالحين، وفيها نزل للمسافرين والحجاج.

بعد ذلك أشار الخربوطلي إلى المدارس المسيحية؛ حيث تطرق في البداية إلى الطوائف المسيحية التسع الموجودة في القدس، ومن ثم للوائح التنظيمية في هذه المدارس، وبعدها تم ذكر مدارس الطوائف والإرساليات الدينية من بريطانيا وأميركا وألمانيا.

ويقول في هذا السياق إن: «مدينة القدس المملوءة بالأبنية الأثرية الإسلامية والمسيحية، وجدت فيها الأديرة والكنائس إلى جانب المدارس والمساجد؛ بل إننا نرى في القدس الكنيسة تعانق المسجد، والمدرسة الدينية تعانق الدير والمكتبة المسيحية إلى جانب المكتبة الإسلامية، وترى في مدارس الأديرة الطالب المسلم يجلس إلى جانب الطالب المسيحي». كما أشار الباحث إلى وجود بعض المدارس اليهودية، مبيناً أنها «موجودة ولن نستطيع إنكارها»، ويضيف أن عددها في عام 1949م كان 59 مدرسة.

وفي القسم الثاني من الكتاب تناول الخربوطلي المكتبات في القدس وكيف نشأت، ثم ذكر بعض المكتبات العامة والمكتبات العائلية وبعض المكتبات الخاصة والمكتبات المسيحية الموغلة في القدم، وأشهرها مكتبة الأسقف (اسكندر) قبل سنة (212م)، ومكتبة (أوريجين بامفليوس) التي أسسّها سنة (209م).

ويذكر الباحث أنه «ابتداءً من أواخر القرن 6 هـ بدأت تتضح ملامح جديدة لحركة الكتب والمكتبات في فلسطين بشكل عام. وفي مدينة القدس بشكل خاص، لأن العصر الأيوبي والعصر المملوكي، وبدايات العصر العثماني كانت عصور نهضة علمية، وبالتالي وَجِدت نهضة مكتبية تمثلت في مظاهر حضارية متعددة. أهمها: بناء المساجد والجوامع، وإنشاء المدارس المختلفة، وانتشار الخوانق والزوايا والربط، التي كانت أشبه ما تكون بالمدارس، وازدهـار معالم العلم، وكثرة التأليف ورواج الكتب، وإنشاء المكتبات الخاصة والعامة».

مؤكداً أن «نهضة مكتبية شهدتها القدس في العصرين الأيوبي والمملوكي، وإن معظم تلك المكتبات قد ضاعت، كما تلف قسم آخر منها، وبعض ما بقي إما سرق وإما بيع بثمن بخس؛ ليستقر في مكتبات الغرب، هذا غير الذي سرقه العثمانيون ووضعوه في الأستانة. وبالإضافة إلى ذلك فإن الزلازل والحرائق والحروب. قد ساهمت بضياع قسم كبير منها».

وبلغة الأرقام يبيّن الباحث أن «هذه المكتبات قسمت إلى مكتبات المدارس، وقد بلغت ثماني مدارس، إلى جانب المكتبات العائلية التي وصلت لخمس مكتبات، كما جاءت خمس مكتبات عامة وخمس وعشرون مكتبة خاصة، بينما أفرد القسم الثاني باباً للمكتبات المسيحية والغربية والتي بلغت إحدى وأربعين مدرسة».

مكتبات القدس في القرنين التاسع عشر والعشرين

ويشير الخربوطلي إلى أن «الدّارس لأحوال مكتبات القدس يرى أن الوضع قد اختلف عمّا كانت عليه قبل القرن 19م. فقد شهدت القدس أوضاعاً متغيرة منذ منتصف القرن 19م. وما بعد ذلك؛ حيث تغلغل الاستعمار بأشكال مختلفة، وتأسست في القدس مدارس تابع للدول. لتحل محل المدارس الدينية القديمة، وفي هذه الفترة من تاريخ القدس أخذت الإرساليات الأجنبية البريطانية والفرنسية والألمانية والروسية وغيرها تنشئ المدارس في مدينة القدس، كما أخذ علماء الآثار يدرسون آثار فلسطين والقدس، وينشئون معاهد وجمعيات أثرية ومكتبات تابعة لهذه المعاهد والجمعيات، كما دخلت المطابع الحديثة لأول مرة أراضي فلسطين، فقد أدخل الآباء الفرنسيون (الفرنسيسكان) مطبعتهم سنة 1847م، وأسس الروم الأرثوذكس مطبعتهم سنة 1851م، وبعد الانقلاب العثماني سنة 1908م بدأت الصحف الخاصة تصدر في مدينة القدس».

ويرى الباحث أن ازدهار الاتصالات الثقافية بين فلسطين وأوروبا، أدى إلى ظهور بعض المقدسيين الذين تلقوا علومهم في معاهد أوروبا وجامعاتها. مثل (يوسف ضياء الدين باشا الخالدي، وابن شقيقه روحي ياسين الخالدي)، وأن هذه المتغيرات الثقافية كان لها في القدس أثر كبير في مجال الكتب والمكتبات. فقد تم افتتاح مكتبات جديدة من جهة، كما تم إعادة تنظيم ما بقي من المكتبات القديمة من جهة أخرى، كالمكتبة الخالدية ومكتبة الجمعية الروسية الأرثوذكسية، ومكتبة المعهد الإنجيلي الألماني لدراسة آثار فلسطين ومكتبة المعهد الكتابي والآثاري الدومينياكني للأبحاث الشرقية، وغيرها كثير.

كما احتوى الكتاب على فصل خاص بالمدارس التي كانت في فلسطين عام 1945م، وهي سبع مدارس إسلامية خاصة: «دار الأيتام الإسلامية، و«مدرسة البنات الإسلامية»، و«كلية روضة المعارف الوطنية، و«الكلية الإبراهيمية، و«المدرسة المحمدية»، و«مدرسة الفلاح، و«مدرسة الحكمة».

مشيراً إلى أنه «كان في القدس في ذاك العام (1949م) 11 مدرسة حكومية عربية (إسلامية ومسيحية) أهمها: «الكلية العربية»، و«دار المعلمات»، و«الرشيدية»، و«البقعة، و«المأمونية»، و«النهضة» وسواها».

وفي هذا السياق يبين الباحث أنه «إذا درسنا أحوال مكتبات القدس أيام الانتداب البريطاني (1917 ـ 1949م)، نرى أن الحكم البريطاني عمل على قيام الوطن القومي لليهود في فلسطين، لذلك أعطى شؤون تعليم اليهود إلى الوكالة اليهودية، بينما أبقى شؤون تعلم الفلسطيني في أيديهم، وقد قصَّر كثيراً في فتح المدارس في القرى والأرياف، فلم يكن قبل سنة 1948م في كل فلسطين إلاَّ ثلاث مدارس ثانوية، وهي دار المعلمين (الكلية العربية)، ودار المعلمات والمدرسة الرشيدية، والثلاث كانت في القدس. ولم تعطِ إدارة المعارف أي اهتمام للمكتبات المدرسية؛ ففي سنة 1920، لم يكن يوجد في أي مدرسة مكتبة، ثم بدأت عملية انتشار مكتبات المدارس، ولكن كانت بشكل بطيء لعدم رصد ميزانية لذلك؛ فالكتب كانت تشترى من تبرعات الطلاب. أو من الهدايا التي يقدمها المحسنون، ولم يكن هناك غرف مخصصة للمكتبة في المدرسة؛ بل كانت مجرد خزائن فقط، من غير فهرسة أو موظف مختص بالمكتبات».

ويضيف الخربوطلي موضحاً أنه: «في الوقت نفسه كانت المكتبات الحكومية أو التابعة لجهة ما مغلقة، فلم تفتح أبوابها زمن الانتداب، لحرص الاستعمار المتعمد على تجهيل الشعب، لذلك حاولت بعض المؤسسات غير الرسمية أن تسد جزءاً من الفراغ الحاصل، فنشطت بعض النوادي والجمعيات بإقامة نشاطات ثقافية وفتحت مراكز ثقافية خاصة بها. مثل المركز الثقافي الفرنسي، والمجلس الثقافي البريطاني، وجمعية (الشبان المسيحيون)، كذلك نشطت بعض الدوائر الحكومية بإنشاء مكتبات متخصصة، مثل مكتبة دائرة الزراعة، ودائرة المعارف، ومحكمة العدل العليا، ومتحف الآثار الفلسطيني ودائرة الإحصاءات، ودائرة الإذاعة، ودائرة المطبوعات».

ويتابع مؤلف الكتاب الباحث محمد عيد الخربوطلي القول: «أنه بعد حرب سنة 1948م وحدوث النكبة، صارت مدينة القدس الشرقية والضفة الغربية تحت إشراف الأردن، وكانت الظروف صعبة، ومع ذلك فتحت مدارس ومؤسسات عامة، وتم تطوير المكتبات ولكن في نطاق ضيق، فالأردن زود مكتبات المدارس؛ وقام بدورات تدريبية للعاملين بها، كما أدخل نظام المكتبات المتنقلة، لذلك تحسن وضع المكتبات المدرسية قليلاً ما بين (1948 ـ 1967م)؛ أما المدارس الثانوية فقد تحسنت مكتباتها بشكل أفضل؛ أما الأهم فكان تأسيس المكتبة العامة سنة 1964م، وتعرف اليوم باسم (مكتبة القدس المركزية)، وتشرف عليها بلدية القدس وتضم أكثر من خمسين ألف كتاب».

ليس ما تَهَبُ الحرب كمثل ما يَهَبُ الشجر

بديع صقور

دع الصهيل للخيول..
دع العواء للذئاب،
وللكلاب النباح،
وللعصافير الغناء..
* * *
انتصف الحزنُ كليل
وخوى الرصيف..
ذهب المسافرون
تلاشى نحيبُ المودعين
ولغط القطارات..
على أرصفة الوداع
تكسَّرَ زجاجُ الوحشة
وافترش الصمت قاعة الانتظار.
انتصفَ الحزنُ كمنارة
وتسللتِ العتمةُ إلى الميناء
على أطاريف السفنِ رموا معاطفهم
المبللةَ بالدموع والثرثراتِ المالحة
من نافذةِ العتمةِ أطلقَ القبطانُ
شارةَ الرحيل
رُفعَتْ المرساة
وائتزر المسافرون بقمصانِ أرواحهم
تحسباً لغرقٍ مفاجئ كالبرق.
انتصف الموت كسفينة
قسمتها العاصفة
أنزلوا ذكرياتهم إلى عنابر البحر
وجوه أرادها الرصاص
وأخرى دهستها أحذية الحرب.
* * *
انتصف القتل كشمس مقبلة
على الغروب
نصفها في البحر..
نصفها في الأفق..
ماذا سنصنع بكل هذا الذي
جلبوه من حروب؟!
كيف سنخوض هذا البحر
من القتل
بعد أن أغرقوا ما كان لدينا
من برتقال ونخيل وابتسامات؟!
* * *
انتصف الليل كنحيب أم
رفرف فوق برار
لا تغطيها سوى القبور
ليس لك وقت لتدخين سيجارة واحدة
أيها الحفار المنهك من حفر القبور
ومن إنزال التوابيت
ليس لك موضع قدم
إلا فوق تراب عظامهم
ليس لك أنت تستريح
إلا فوق كومة رمادهم كالحبارى( ) *
تستشرف أفق موت جديد.
ومساء موتى قادمين
* * *
انتصف السؤال كليل
على وشك الحضور
ليس ما تهب الحرب
كمثل ما يهب الشجر
تهب الكروم ثمارها للقادم
من طير وإنسان
تهب الحرب قبوراً ورماداً وحزناً وخراباً
للقادم من طيور
للقادم من حياة
أو للقاطن فوق هذه الأرض
* * *
ينتصف الموت كنهار
محتجب بالضباب
وكسوف الأيام
تنهضين من بين سنابل الفجر
أسوق وجهي إليك
نوغل في أزقة التيه
عشب الحديقة يذبل في
رمال دمي
يدي في النار
ويدك؟!
كلانا بلا ظلّ
كلانا يموت كعشب المدينة
وكلانا...
جدران بيت من دخان
من زوايا نسيانه تدلت
خيوط العناكب
كنازلات الكهوف.
* * *
ينتصف العمر كدرب
نصعد فوقه
أو نفترق..
أخطو في بيت غربتنا
المكلل بالخراب..
مسافة القهر تطول..
تمحو خيوط الشمس
ويكبر ليل المدينة.
* * *
تنتصف المدينة كغمامة
يطل بيتك العتيق
زهرة رماد طالها القصف
وينتصف الحزن
أيامنا.. ذابلات كعشب المدينة
أيامنا.. والطريق إليها موصد.. موصد.
* * *
انتصفت الحرب كليل
أبواق وصنوج صفراء
تلمع تحت وهج الشمس
وتل طويل من الجنازات
ومعزوفة الوداع تصدح بها
الأبواق والصنوج.
* * *
انتصف الموت كشمس
اكتظت الشوارع بهمس الدخان
مات صحبي..
وعلى الشبابيك
زغاليل ليلٍ
ونحيب نساء
وزغردات...

شريط سولوفان

وجدان يوسف أبومحمود

(إلى من ابتدأ الحكاية بشيفليرا و قرنفل أحمر وشريط سولوفان)

1ـ البارحة:

لا مدفأة في الغرفة التي استأجرتها، ولا مال لديَّ لأجرة هذا الشهر، كلُّ ما أملك وجهك الذي انداح مع المطر كما المطر.... ورغبتي الجامحة في تجاهله. مذ أعجبك أنّي البنت القرويّة التي ترقص الباليه، وأنا مفتونةٌ بما أبديت نحوي... أطنان الرسائل... عشرات الأقراص الليزرية لأغاني عاطفيّة قديمة... باقات ورد... هدايا كانت أوّل ما مرَّ في عمري من هدايا، كنت أخاف الرسائل والأغاني والهدايا، كنت أخاف أن تَسحَرني وأن تلتفَّ على قلبي مثل خيوط العنكبوت، حيث أنّي أعرف قلبي... أوهى حتّى من خيوط العنكبوت.

منذ سنين كسبت مسابقةً صغيرة جعلتني (الراقصة الأولى) في الفرقة، كنتَ جالساً خلف لجنة الفصل بعطرٍ وصلني حتى الخشبة، هُرعت إليّ كمن ضمن فوزي، أخرجت من جيبك خاتماً رائعاً من (تنك) ألبستني إياه في البنصر الأيسر، وربّت على يدي، ومذّاك وفيروز تخرج من الغيم ومن الضباب... من الشفق ومن أحمر الشفاه على فناجين القهوة: (عملني متل خاتم دهب بإصبعك).

وفجأةً أضعتك، بالسرعة ذاتها التي وجدتك؛ قالوا سُجنت، قالوا سافرت، قالوا متّ، وخرجت ألف فتاةٍ بخواتم (تنك) في أصابعهن يسألن عنك، ومن ذلك الوقت وأنا أحيا بلا بنصرٍ أيسر؛ فالأشياء الغالية في قريتنا تستعمل مرةً واحدةً فقط.

ليتك كنت ترى...

عبث الريح في الخارج بشجر الفلفل الكاذب، خاتمُ (تنك) قد جُنَّ بك، يدك التي وشوشت يدي لتهمس في الخفاء: اتبعيني. كانت تمطر وتبرق وترعد وكنت أبكي، فركت قدميَّ إحداهما بالأخرى، دفّأتهما جيّداً؛ إلاّ أن البرد ظلّ ممسكاً بأحشائي، لففت ركبتي المصابة بعشرين لفّة شاش، وتناولت حبّتي أسبرين علّي أنساها. أنت لن تفهم كيف كان وجهك يسبح في رأسي، فوجهك أيّها (الضائع) يستعصي على الزّوال، لا يزيده الوقت إلاّ وضوحاً، هو شيءٌ لا يمكن تخطّيه، إنّه قلبي اللاهث وماضيَّ المروّع والجنيّ الذي يقودني من يدي إلى الجحيم، وهو في المقابل ذكرياتي العزيزة ونكهة البهار التي تمهر مخيّلتي... تصوّر هذه المعادلة القاسية!

يوم نزعتُ عن سبعٍ وثلاثين زهرةٍ أوراقهُن، سألتُ في شغفٍ: أيحبّني؟ ، كم كنتُ مضحكةً سيّدي فالورد لا يجيب وأنت لا تُجيب، لأنّك وريث رجال الشرق في إتقانهم للغة الـ (مابين بين)، وأنت في الحقيقة شخصيّةٌ متورّطةٌ في الحياد حتى الخليّة الأخيرة، ذلك الحياد المميت الذي لا أطيق، لهذا بات فهمي لك عظيماً جدّاً بحيث يساوي تماماً عدم فهمي. يومها لم ينتبني أدنى شكّ في أنّني أجمل نساء الأرض، ألست من أخبرني بهذا! أجملهنَّ بنظّاراتي الطبيّة الرخيصة، بشعري المجدول في ضفيرة خلف ظهري؛ بحاجبيَّ السميكين؛ وبيدين خشنتين مخدوشتين دائماً؛ وبرائحة الحليب العالقة بجلدي رغم زجاجات العطر الكثيرة؛ فزوجة أبي لم تكن وحشاً بأنياب ـ كما تشيع الحكايا والقصص ـ وإنّما مسكينةً إلى الحدّ الذي كان يمنعني من الانصراف لمدرستي من دون مشاركتها في حلب بقرتنا العزيزة وإطعامها.

الليلة بالذّات كان لابدّ منك، مسحت بالمنديل أثر الدمع، رغبت كالعادة في امتلاك دافع يمنحني مزيداً من الثّقة لأثبت لك في غيابك أنّي أفضل الأفضل، وليمرّ يومي غداً كما أتمنّاه، بركبةٍ مصابةٍ لا يعلم بأمرها إلا الله، وبعرضٍ كبيرٍ كنت حلمت بتقديمه على مسرح المدينة. كانت قناعتي أنّ أيّما شيء لن ينجدني من خارج ذاتي، وأنّك وحدك بحيرة الشّهبِ الملتهبةِ التي يمكن لها أن تتأجّج في ليلي الحالك البارد. تعبت من التنصّل منك، ولم يكن ظرفي – على الأقل- ليتيح لي ذلك، لهذا لم يبدُ لي من منقذٍ سواك. لحظة أضاء البرق نافذتي رأيتك، كنت تشقّ قميص السّماء رويداً رويداً؛ فينداح الدفء على الدّنيا، وتتلألأ حبّات الماء التي استطالت على أعناق السحب، كنت مبلّلاً بالمطر؛ إلاّ أنّ شيئاً لم يتغير في عينيك، وجدتهما كعهدي بهما... مدوّختين. خيّل إليّ أننا تعانقنا، فامتزج النبض بالنبض وسرت فيَّ حرارتك الإلهيّة، تسمّر نظري على شفتيك، تمنّيت ألاّ يخذلك الكلام هذه المرّة، غير أنّك اخترت أن تنأى بوجهك بعيداً كيلا تنزلق روحك في عينيّ، كان صمتك مخيفاً وقادراً كعادته على إحداث الزّوابع، شرّد طيور أحلامي، وأذلّني، وأنا التي أترك قلبي من دون قفلٍ أحسست بأنفاسك المحمومة تتسلّل إليه عجلى، تزرع الألغام فيه، وتفرّ آثمةً بالصّمت ذاته. وفي اللحظة التي أعي فيها أنّي حوصرت بك، وأنّ شيئاً احترق فيّ لن يستبدل إلاّ بك، يغيب عطرك؛ وتكون قد تلاشيت كما السّراب، فأنت جوّاب آفاقٍ امتهن الرّحيل في اللّحظات الأخيرة. أطمر كلام الدنيا تحت لساني، وأضمّ ذراعيّ أمام صدري خشية أن تنسرب منه بقيّة الحرارة، بعد أن علّمني طيفك مجدّداً كيف أخشاك، آوي إلى فراشي مهزومةً، أظلّ مستيقظةً إلى أن تموت الغصّة في أحشائي، وتستحيل إلى أمل صغير صغير(ليتك تحضر)، أغفو عليه لطالما أنّ الخيبات تزيدنا دوماً تعلّقاً بالمستحيل...

2- اليوم:

ظلالك تستعمر رأسي، أقطفها واحداً واحداً، أفرشها تحت قدميَّ كالمخمل، وأركض فوقها نحو حلمي، فأخفي أمر إصابتي عن الجميع، وأستعدّ لتحمّل النتائج حتى ولو كان المقابل أن تطأ قدماي المسرح الذي راودني طوال حياتي وحسب، أتخيّلني أتعثّر، أتخيّلني أُخفق وأسقط، وأتخيّل الحاضرين يضحكون عليَّ، ولكنّي أستمرُّ غير آبهةٍ.

يقولون: هاهي نجمتنا، أسمعهم. من دون أن أسمعهم كنت أتملّى في باقات الورد الفاخرة، إحداها كانت تتمنى لي أنا (أنا بالذات) حظّاً طيباً، وعلى شريط السولوفان الذي حمل العبارة كتب اسم مرسلها بخطٍّ صغير... استحالت عليَّ قراءته، يأكلني زوغانٌ طارئٌ في عينيّ، زوغانٌ أكاد أجزم أنّ قلبي من افتعله، يخيّلُ إليّ أنّه اسمك، يخيّل إليّ أنّك... وأنّك.... وأنّك.....، يقولون: ستدهشون، يقولون: ابدئي، وتقول ساقي: لا أستطيع، يقول ألمٌ ليس يحتمل: لا أستطيع، لكن رجلي تقهرني، تتبع رغبتها في الخلاص، وتهرب مني، فتلحق الأخرى بها، يشتدّ الألم ويشتدُّ؛ لكنّ رغبتي في اللّحاق بقدميّ تشتدّ هي الأخرى... وبجنون، بدأت الرقص فاختلط العرق مع دمعتين، كان جسدي يتحرك من دون مشورتي باللياقة ذاتها المخبوءة فيه. رقصت ورقصت... حتّى النهاية رقصت، انحنيت ثمَّ تركتهم يصفّقون بحرارةٍ لأذوب كالضوء... في شريط السولوفان.

كفـــى يـــا شـــام

محمد رجب رجب

كفى يـا شـام تبكين التياعـا

وتــؤويــن الزهاليــل1 الضّباعــا

كفى يا شام ما ذُبحث دِمــاءً

طهــارى زادهـا البغي اندفاعا

كفى يا شام صَبْــراً (أيُّوبياً)

ومـا من قاتــلٍ رام ارتـداعــا

صبـرنــا، أينـعَ الصبر احتراقاً

وأنبـت في أمانينا الضّيــاعــا

ترعــرع غيظُهــمْ نـاراً تلّظى

أمضّ الصّبح واستدمى الشعاعا

كفى يا شام صبراً مستحيلاً

أمــا للثــأر يحْتَنِــكُ الرّعاعــا

أمــا فيــضُ العدالــة جَذْعَيْنِ

بِعَيْــنٍ، ذاكَ ردُّ الضّاع صاعــا

فمــا افترش الذّئاب دِما قـطيعٍ

وكفُّ رُعاته امتشــق الدفاعــا

وبعـضُ الـدّاء في البلــوى دواءً

وكــم نــأوي إلى السُّمّ انتجاعــا

* * *

هُـوُ الطاعُــون يا بــردى تفشّى

يمــدُّ بكــلِّ وارفــةٍ ذِراعــا

لقــد قـرأتْ رسائلكُــمْ دِمانــا

وأشبَعَهــا يتامانــا اطّلاعــا

ويكتـب سطْرُها أشلاءَ طِفْـلٍ

بمدرســةٍ تَبَاكرهــا سِراعــا

بكــلِّ سفالــةِ الدّنيــا رفعتمْ

عقيرتكــمْ تُفيضــون اتّضاعــا

تصافقتم ، شياطيناً، دمانــا

فبئْسكُــمُ شَــراءً وابتياعــا

خؤولتكم إلى (شالــوم) تُنْمى

وآنستُم (بشارون) الرضاعا

وَجَدُّكُمُ (يهوذا)2 اختان عيسى

فجــال دم الخيانــات اتّباعــا

فمــا هَزَمَ التَّطبُّعُ، قطّ، طبعاً

إذا ما الشّرُّ قــد مَلَكَ الطّباعا

* * *

متــى يا شــام يوقظنا ربيــعٌ

فيكتنفُ السّفينة والشّراعا

متى يا شام يسطعُ سيفُ بَرْقٍ

فَيَسْتَلِبُ الصَّفاقة والخداعا

حمــاةَ الدّار أوجعنا اصطبــارٌ

بناةَ المجدِ بعضُ المجد ضاعــا

دم الشّهــداء يُقرؤكــمْ عِتابــاً

يكادُ الذئــبُ يلتقــمُ السّباعــا

دعــوا ما جــاءَ يطبُخُهُ (أنانٌ)3

وما العربان أصلــوهُ اجتماعــا

يظــلُّ السيفُ بسملــةَ الأمــاني

وفي الهيجاء كان هو المطاعــا

* * *

حمــاك اللهُ سوريــا وأبقــى

بــك التاريــخ يزدانُ التماعــا

شِبَالُكِ أورفوا السّاحاتِ مجداً

أقامــوا في ذرا العَلْيــا قِلاعــا

فــلا للموغــرين دِمَا (كُليبٍ)

ولا عــينُ (البَسُوسِ) تَمُدُّ باعا

بنــــو أمٍّ ليعــربَ مُغْتــدانــا

وصــدرُ الضّاد آخَانا ارتضاعا

فلا زيــدٌ وَعَمْرُو وَلَا (قميصٌ)4

و(كرُّ بلائنــا)5 أزِفَ انقشاعــا

شــيوخَ الفتنة اللَّعْشــاء قُبحــاً

لَقَــدْ آثــرتمُ الدّنيــا مَتَاعــا

نبيُّ الحــقّ طيّبنــا سَلامــاً

وتحنانــاً، وتُزْكــونَ الصّراعــا

أأبــرأكمْ إلــهُ العرش صَكّاً

وأولاكــمْ بِجَنَّتِــهِ اقتطاعــا

وَمَــا لَأَكُمْ بعزائيــلَ نِــداً

ألا عِزْريلَ: شــرع اللهِ ضاعــا

* * *

وقاكَ الله يا وطــني احترابــاً

ظَلاميــاً، وقــد هَتَكَ القِناعــا

أبٌ، أمٌ، ونحــنُ بنــوكَ طُــرّاً

وأيــمُ الله إنــك لــن تُراعــا

أخ، أختٌ، وتُرْبٌ عَسْجَديٌّ

وربِّ العــرش إنّــكَ لَنْ تباعــا

(Endnotes)

1- الزهاليل : الذئاب

2- إشارة إلى أصل العائلتين المالكتين في السعودية وقطر

3- أنان : ممثل الأمم المتحدة لحل الاضطرابات في سورية

4- قميص : إشارة إلى مقتل الخليفة عثمان

5- كربلائنا : كربلاء ومذبحة الحسين

الحب لايأتـي إلا مرة واحدة

عبد الباقي يوسف

كانت ليلة مشؤومة، ليلة الاثنين الكئيبة التي لبثتْ مظلمة لم يطلع بعدها نهار.

يومها اقترح أن تمضي لُبنى ليلة غيابه في بيت أختها الذي يقع في حي مجاور, بيد أنها أصرت أن تبقى في البيت حتى تشم رائحته من كل ركن، وتزداد حنينا إليه.

قالت: لا أترك بيتي بغيابك يا عزيزي، سوف أنتظر اتصالك كلما وصلت إلى موقع من عملك.

تخيلت بأنها لن تغفو لحظة واحدة، ستبقى يقظة تفكر وتشرد بآلاف الأفكار التي ستقوم بها في المستقبل.

الأسبوع الماضي أنبأتها الطبيبة بأنها سوف تكون حاملاً خلال الشهر القادم، ورغم أن هذه المواعيد تكررت دون أن تتحقق، فإنها تشعر أن مولوداً سوف يحل خلال السنة القادمة, إنها أيام معدودة ينقطع خلالها الطمث، ويبدأ بالتكوّن الأولي.

تتخيّل منظر بطنها, ويعتريها حياء عند الخروج، يراودها إحساس بأن الناس تركوا كل شيء لينظروا إلى بطنها المندفع إلى الأمام.

ثم بأي سحنة سوف تقابل أهلها، أي خجل سيحل على سمات وجهها عندما تنظر إلى أبيها، وهي التي لم تكن قادرة على المشي حتى تصعد سيارة الزفاف بسبب ذاك الارتباك الذي سيطر على كل حواسها. كانت تشعر أنها تجر جسدها جراً، تحس بشيء من فِصام وهي تبرك بجانبه تحت الزغاريد والأغنيات والضحكات وأنوار التصوير.

الآن سوف يعود الشعور ذاته ليستبدّ بها مجددًا لكن بشكل آخر، عندما تنظر إلى أبيها ستشعر بأنها تقول له: ها أنذي أحمل حفيدك، هاأنذي أقدّم لك شيئاً مما قدّمته لي.

أحياناً تقفز بها الذاكرة فتتخيله ولداً، ثم تذهب وتخطب له، وتقفز إلى أبعد من ذلك فترى نفسها جدة تحوك الجوارب لحفيدتها في شتاء قارس.

كيف لها أن تنام وثمة عوالم برمتها من أفكار ومشاريع وخطط مستقبلية، ستكون فرصة لتنفرد

بها.

عندما رآها مصرة على البقاء وحدها في البيت، اقترح أن تأتي إحدى أخواتها العازبات كي

تسليها.

قالت: سأكون وحدي، لاعليك، سوف أعوّد نفسي على البقاء في البيت وحيدة وأنا أنتظرعودتك.

قال : كما تشائين ياعزيزتي، قالها وكالعادة لدى خروجه، قبّلها على خدَّيها وهو يهم بالخروج.

لم يكن يعلم أنها ستكون القبلة الأخيرة، لم تكن تعلم أنها ستكون لمساته الأخيرة على وجهها.

* * *

كان يوما مشؤوماً يوم كلفته المديرية ليقوم بجولة تفتيشية في بعض مدارس القرى؛ بسبب شكاوى متكررة ترد عن معلمين وكلاء يغيبون عن واجبهم في إعطاء الدروس لطلاب مدارس القرى البعيدة ، حتى إن إحدى الشكاوى التي وصلت إلى المحافظ، ورد فيها أن تلميذًا من الصف السادس الابتدائي لا يجيد كتابة اسمه.

تشكلت لجنة على إثر هذه الشكاوى لوضع مقترحات جديدة بالنسبة لمدارس القرى البعيدة، ووصل إليه تكليف من مدير التربية بعضويته في هذه اللجنة.

عندما قرأ أسماء القرى التي سيقوم مع زملائه بالذهاب إليها، وقع على اسم قرية / السامرية /، في تلك اللحظة قفز اسم / تمام / إلى مخيلته، خاصة وأنه سيقضي ثلاثة أيام في هذه الجولة التفتيشية، تخيّل بأنه سيزور صديقه، وينام ليلة في بيته.

عندذاك تذكّر كيف أن رجلاً يماثله في السن، له بشرة سمراء وشارب كثيف، يطرق عليه باب مكتبه في مديرية التربية، ويدخل ليسأله عن المكتب الخاص ببناء المدارس النموذجية في القرى.

رفع عينيه إلى الداخل الذي بادله نظرة متأملة وقال: المكتب الثالث الذي يلي مكتبي.

لبث الرجل قليلاً وهو ينظر إليه بعد أن عرف جواباً لسؤاله، ثم خرج وكأنه ترك شيئاً سوف يعود ليأخذه.

من جانبه أحس وديد الشعور ذاته عندما أمعن الرجل النظر إليه، وغدا يسترجع في مخيلته صورة هذا الشخص.

لم يدم ذلك طويلاً حتى عاد صوت الباب بعد نحو نصف ساعة ليلج الشخص ذاته ويدنو بخطوات مترددة حينما رآه يتحدث في الهاتف.

عند ذاك أشار إليه بالجلوس وهو يكمل حديثه الهاتفي، فجلس تمام يتأمل محتويات المكتب المتواضع حتى رآه يضع السماعة، عندئذ ودون تردد نهض واقفاً مرة أخرى ليتأمله بعمق قائلاً: لكن ألســت وديد الذي كان يسكن منذ خمسٍ وثلاثين سنة في حي النشوة ؟

نهض فاتحاً ذراعيه وهو يردد: تمّام.. أيها الشقي.. تمّام، أجل أنت هو.

ترك الطاولة التي كان يقف خلفها ليتقدم إليه ويحضنه.

بعد لحظات من جلوسه طلب إبريقاً من الشاي، ولم يشعرا بمرور الوقت مع حديث ذكريات الطفولة، ودخول بعض المراجعين حتى أوشك الدوام على نهايته. عندها نهض تمام مودعاً إياه، بيد أن صديقه أقسم بأنه لن يعود إلى القرية قبل أن يأخذه إلى البيت ويتناول الغداء، وراح يرفع سماعة الهاتف بثقة ويخبر زوجته بوجود ضيف عزيز معه على الغداء؛ من جديد وهما في الطريق عاد بهما حديث ذكريات الطفولة.

تذكّر أنه كان يُعرف بابن / العرجاء / لعرجاء أمه ، كان يُقال: بيت العرجاء, وأحياناً كان سكان الحارة يدلعونها بـ / عريجــة / ولم تكن تستاء من هذا اللقب الذي عُرفت به، لأنه أصبح مقترناً بها مثلها مثل الذي عُرف بمهنته، أو بموقف قام به.

تلك المرأة السمراء التي كانت دوماً ترتدي ثياباً جديدة وكانت في نحو الأربعين من عمرها ، ويُقال بين نسوة الحي إنها لم تكن تقبل بـ / مكّي / زوجاً لولا إعاقتها، فهي تتقدمه في النسب والجاه والمكانة الاجتماعية، وهو الذي ينتمي إلى عائلة متواضعة، لكنها عندما بلغت السادسة والثلاثين وبدأت تشعر بشبح العنوسة ، قبلت به زوجاً حتى لا تمضي حياتها محرومة من دفء الحياة الزوجية. كانت تعلن لبعض جاراتها ومنهن أم وديد بأنها لاتحب / مكّي / وأحياناً لاتطيق رائحته، لكنها اضطرت إلى لقبول به بسبب عاهتها، والعاهة فقط هي التي جعلته رجلا يليق بمقامها.

كانت تلك المرأة شديدة الوضوح، وكانت أيضاً كثيرة التدخين وشرب الشاي الثقيل الذي كانت تطلبه دون خجل لدى زيارة جاراتها، كانت توصي: ليكن الشاي أسودَ كأيام عريجة.

أما زوجها مكي فقد كان بسيطاً للغاية إلى درجة السذاجة بين الجيران، ويطلق عليه البعض: / جارنا مكي الحارس الساذج / لأنه كان يعمل حارساً في أحد معامل بيع المياه الغازية.

بعد سنتين من الزواج، رُزقت بولدها الوحيد الذي شاءت أن تسميه / تمام / وعندما توفي مكي، وكان تمام حينها في الثامنة من عمره، اختفت بشكل مفاجئ مع وحيدها عن الحارة.

عندما وصلا إلى البيت كانت لبنى قد أحضرت الطعام بانتظارهما، ومع تناول كأس من عصير البرتقال المجفف بعد الغداء ، غدا تمام يسرد فصول حياته عندما اختفى من الحي مع أمه ليقضي ستة أشهر في بيت جده، ثم تتزوج أمه، وتشترط أن تأخذه معها للعيش مع زوجها في إحدى القرى، حتى أن لبنى انتابها شعور بالاستياء وهو يسرد تلك الوقائع بجرأة بالغة، فهو يحمّلها مسؤولية موت والده الذي كانت غير آبهة به، ولم يظهر حزنه عليها يوم وفاته؛ بل إنها لم تنتظر أكثر من ستة أشهر حتى راحت وتزوجت برجل أقل ما يمكن أن يقال عنه / الرجل القاسي /.

اضطر بحكم الواقع أن يعيش مع أمه برفقة ذاك الرجل الذي أذاقه ألوان الرعب والقسوة.

يسرد كيف أنـه ذات يـوم صيفي شديد الحرارة، وكان حينها في التاسعة من عمره، دس جسده في خزانة الثياب كما يدس وسادة، وأغلقها عليه، ثم أغلق باب الغرفة وخرج لمدة ست ساعات ، كان ذلك يحدث على مرأى من أمه التي لم تكن تنبس ببنت شفة لتدافع عن ابنها، حتى تحافظ على بقائها مع هذا الرجل الذي قبِل أن يتزوج من أرملة عرجاء، لكنه في عامه العاشر هرب من البيت وبدأ يعمل راعياً عند أحد أعمامه الذين ماكانوا يستقبلونه بسبب أمه التي كانت تتمتع بنفوذ في القبيلة التي تنتمي إليها، الأمر الذي لم يكن يدع مجالاً لأعمامه للتدخل في شؤونها.

بعد أن حكى لصديقه هذه الوقائع قال: لذلك ياعزيزي أفضّل أن أبقى عازباً في هذا البيت الذي تركه لي جدي.

قال: وما أخبار أمك ؟

قال: ماتزال تعيش مع زوجها، أزورها في السنة مرتين، مرة في عيد رمضان، ومرة في عيد الأضحى. أقوم بذلك لأنها لا أولاد لها غيري، وكلما زرتها سألتها أن تترك ذاك الرجل وتأتي للعيش معي، لكنها ترفض ذلك.

عند العصرعندما نهض، أوصى صديقه أن يقوم بزيارة عائلية له في الربيع لأن الطبيعة في قريته تكون خلاّبة في ذاك الفصل.

ذكر وديد هذه الوقائع لزوجته التي تذكرت هذا الشخص، واتفقا أن يتصل بتمام ليبيت ليلة في بيته، لأنه يقطن في قرية من القرى التي يشملها التفتيش.

لدى الاتصال رحّب به تمام بحرارة وقال مازحاً: رغم أنني عازب ياصديقي ستجد خروفاً على البرغل بانتظارك.

كان ذلك بمثابة طمأنينة للبنى لأنه سوف يبيت في بيت شخص عزيز.

خرج وديد مع زميلين له في الساعة السادسة صباحاً بسيارة لمديرية التربية, بيد أن السيارة قبل وصولها إلى أول قرية بقليل وأثناء انعطافها

لتسلك طريق القرية، اصطدمت بسيارة نقل ركاب صغيرة تعمل على الخط مما أدى إلى عطل بها، فاضطروا للذهاب إلى القرية على الأقدام ريثما يأخذها السائق بواسطة جرها بعربة أخرى إلى المنطقة الصناعية، ومن ثم يلتحق بهم قائلاً لهم بطمأنينة: بيننا الخلوي ياشباب.

في المساء استأذن زميلَيه، وقال بأنه مدعو لزيارة أحد أصدقائه القدامى بصفة شخصية، على أن يأتيا صباحاً إليه لينطلقا في تكملة الجولة على القرى الباقية، فأوصله السائق إلى تمّام في قرية / السامرية / موافقاً العودة إليه صباحاً.

استقبله تمام بترحاب، وحول منتصف الليل تحدث له عن الحادث الذي جرى معهم، فعاتبه تمام كيف أنه لم يخبر زوجته بذلك.

عندها قال بأنه لم يشأ أن يقلقها، فعلق تمام: يا أخي الأمر ليس كما تظن.

وعندما تغير وجه صديقه، أضاف: كانت ستطمئن عليك.

- : ولِمَ أسبب لها القلق ، ثم أجعلها تطمئن، عندما أعود سأخبرها بما

وقع.

- : عموما أنت حر, لكن ياصديقي لا تبالغ في الثقة بالمرأة حتى

لاتشعر بصدمة في يوم ما !

أدرك ما يقصد تمام الذي عانى طويلاً من ظلم زوج أمه بسبب القرار الذي اتخذته، أمه التي كان عليها أن تتفرغ لتربية ابنها الوحيد الذي كان بأمس الحاجة إلى رعايتها، ولذلك لم يرد لأنه يدرك موقف تمام من النساء بعد ذاك الموقف، وهو الذي كان يعتقد أنها سوف تبقى على ذكراه ولن تتزوج بعده، لكن تماما استأنف يقول: هذا الذي يحدث ياصديقي على الأغلب.

أحس وديد بأنه يريد أن يستثني زوجته من مثل هذا الكلام ليعرف بأنها ليست كما يظن فقال : أنا واثق ياصديقي أن زوجتي لم تكن تتردد في الانهيار فيما لو وقع لي مكروه.

ضحك تمام بشيء من الاستهزاء الممزوج ببعض السخرية: لم أكن أعلم أن حيل النساء ستطالك أيضاً ياعزيزي : ستنهار !! وأي لون من الانهيار!!

أجاب بشيء من الحزم: مشكلتك أنك تعمم مواقف امرأة على كل نساء العالم، يا أخي لكل امرأة طريقتها ورؤيتها للحياة، ما الذي يمنع امرأة من اقتران حياتها بحياة زوجها ، وأنه هو الذي يلخص لها الحياة، وإن كانت هذه المرأة موجودة أيحق لي أن أعمم موقفها على كل نساء الكون، لاأعرف لماذا تصر على عدم التمييز في أمر بالغ الخطورة والأهمية كهذا ؟!

لدى خروج تمام ليجلب إبريقاً من الشاي، قفز حديث لبنى إلى مخيلته: ياوديد، عندما أموت، هل ستطيق أن تعيش من بعدي، هل ستجلب امرأة أخرى إلى هذا البيت الذي أشعر بأنه مملكتي الوحيدة في هذا العالم، لاتدري ياوديد كم أنا متعلقة بهذا البيت لأنه يفوح برائحة حميمية علاقتنا.

هنا اكتشفت بأن البيت الزوجي هو أقرب للمرأة من بيت أهلها، هناك تشعر بأنها ستغادر في أي وقت، بينما هنا تشعر أنها تعيش في ركن خالد، وحتى لو انتقلت إلى بيت آخر، فإنها تأخذ هذا الركن الخالد معها.

قفز حديثها إلى مخيلته: إن كان لي ولد ياوديد لاتدعه بين يدَي زوجة أب، دعه أمانة عند أمي، سوف تهتم به كما لو أنها تهتم بي.

وأخذت الدموع تنهمر من عينيها كما لو أنها سوف تغادر بالفعل غدا، ثم أردفت تقول في تلك الجلسة الشاعرية بينهما، وهما في سكينة عشهما الزوجي : لكن أوصيك يا وديد أن تنتظر سنتين بعدي، لاتكن مستعجلاً في ذلك.

مسح دموعها بأنامله وتمتم: ماهذه الوساوس يالبنى، مانزال في بداية الطريق، ثم قد يحدث هذا معي.

لايعرف كيف انتفضت مع حديثه قائلة: لن يكون بوسعي أن أرى ذاك اليوم الذي لا أراك فيه.

لم تكن تعلم أن بمقدور رجل أن يقلّب كل الموازين ويهدم عالماً ماضياً بأكمله، يطفئ حرائق العالم في أعماقها, ثم يأتي بعالم جديد تفتح عينيها عليه لأول مرة، وكأنه هو الذي أتى بهذا العالم الجديد بكل عناصره ومقوماته وتفاعلاته وشمسه وربيعه توأ.

تدرك أنه الرجل الذي تعلقت به كل التعلق، وأصبح معادلاً للحياة التي أتى بها. وغدت تسبح في ذرات تلك الحياة التي أشرقت وسطعت لدى رؤيتها الأولى له، وقبولها أن تكون شريكة لحياته، ويقاسمها شراكة أحلام عمر بأكمله.

أخذت تدندن برقة وعذوبة: كم أن الحياة بهية ياوديد، كم أنها تخفي كنوزاً مجهولة.

ثم تتزحلق دموع سخية على خديها: هل يمكن أن تتحول كل هذه الحياة الغنية التي نعيش في محراب أبهتها إلى ذكرى وقعت بالأمس، هل ستتخيل أنني سأكون قادرة على العيش دونك يوماً واحداً، وأي دهرثقيل مرعب سيحل ذاك اليوم؟!

اعلم ياسيدي أن أيّ بقعة تكون فيها، ستكون البقعة الأكثر سعة ورحابة من أي ركن آخر.

* * *

لايدري تمام أي شيطان وسوس له في تلك اللحظة وهو يحضر إبريق الشاي حتى يخطر له أن يقوم بتجربة يثبت من خلالها أنه على صواب وأن صديقه على خطأ، يثبت لنفسه أولاً، ومن ثم لصديقه بعد أن تسرّبت إليه شذرات أفكار عن صحة ما يقول وديد، هذه الشذرات التي زلزلت مفهومه وجعلته في حالة فكرية ونفسية مضطربة بلغت به حدتها حد اللاتوازن من الناحية النفسية والعضوية معاً؛ بحيث غدا يستند بكفيه إلى الحائط تارة، وإلى الباب تارة أخرى في محاولة للتصدي لهذه الشذرات، كانت الأفكار تقول له بأن صديقه على صواب، ولذلك عليه أن يفكر في الزواج، عله يعثر على المرأة التي تكون شريكة حقيقية له في الحياة، وتنقذه من هذه العزلة ومن عواقبها الوخيمة عليه، وأفكار أخرى تقول بأن المرأة سوف تقضي عليه، وتجعل حياته جحيماً، وإذا أنجب منها، سوف تضع ابنه تحت يدَي زوج أم ظالم يسيء معاملته.

سكب الشاي، وسهرا حتى منتصف الليل، عند ذاك رأى النعاس يستبد بعينَي صديقه، وبنبرات صوته أيضاً، فدخل غرفة أخرى وعاد حاملاً الفراش الذي ينام عليه صديقه.

عندما بلغت الساعة الواحدة ليلاً، أدرك أن صديقه استغرق في لفائف النوم، وبينما ينظر إليه، لفت نظره الهاتف الخلوي تحت الوسادة.

مدّ كفاً راجفة إلى الجهاز الصغير بكثير من الحذر وسحبه ببطء شديدثم مشى على رؤوس أصابعه خارجاً من الغرفة إلى فناء الدار.

لنر ياسيد وديد إن كنت أنت على صواب، أم أنا ؟!

همهم في قرارة نفسه، وهو يزداد إصراراً على تنفيذ التجربة التي باتت تعنيه بشكل خاص.

ابتعد قليلاً حتى يتجنب وصول الصوت إلى وديد النائم، اكتشف بأن الجهاز مغلق، فتحه بسرعة، وأجرى الاتصال مع رقم بيته.

لدى الرنين الرابع، رفعت زوجته السماعة قائلة بثقة: حبيبي أين أنت، ما أزل يقظة بانتظار أن تتصل بي ؟!

ارتبك تمام وقال: أنا آسف، لكن لاأعرف ماذا أقول لك، أليس هذا هو بيت السيد وديد ؟!

اندفع صوت المرأة بذعر: مَن أنت، ماذا تريد أن تقول، أين زوجي ؟!!

خرجت منه عبارات مضطربة غير متناسقة: بكل أسف ياسيدتي، وقع حادث على الطريق.. لاأعرف كيف أكمل.. أنا من أطباء المشفى.. يمكنكم أخذه من براد المشفى.. آسف مرة أخرى لأنني لم أجد وسيلة للاتصال بكم غير هذا الهاتف الذي كان معه، ورقم هاتفه المنزلي الذي كان موجودا على دفتر الهواتف الصغير.

قال ذلك وأغلق الخط، ثم أعاد غلق الجهاز كله.

سقطت السماعة من يدها الخدرة، وأحست في غفلة أن طائرًا انطلق من كبدها نحو الفضاء.

أي قلب هذا الذي يملك أن يقول كلاماً مزلزلاً كهذا يا لبنى !!

أدركت في تلك اللحظات الحاسمة كم أن الحياة مليئة بأناس يعيشون دون أحاسيس، دون مشاعر إنسانية، يطلقون الرصاص كما لو أنهم يقدمون الورود.

ساعات، ساعات فقط مرت على رؤيته وهي تودعه وتقول بأن عمراً واحداً مهما طال، فإنه لايكفي لاستيعاب حب نبيل كهذا، أن عمراً واحداً مهما طال، فإنه لا يتسع للتعرف إلى تفاصيل حياة غنية كهذه. كانت تقول له بأن كلمة الفراق باتت من أكثر كلمات العالم ذعراً على سمعها.

لكنها الشمس التي أخذت تسطع ، شمس وديد التي عادت مجدداً لتنقذها من هوة الظلام، كما أنقذتها أول مرة، أجل إنهم الكرماء الذين دوماً يملكون مفاتيح الخلاص أينما كانوا وحيثما وجدوا، حتى لو ذهبوا إلى العدم، فإنهم يملكون تلك المفاتيح الذهبية في ذاك العدم.

هل ستقبل أن يتحول كل ذاك العالم الحافل إلى ذكرى تعيش وقائعها، إلى شيء من الماضي يتراكم عليه غبار السنوات رويداً رويداً أمام ناظرَيها!!

غدت لبنى تشعر بأنها ترتفع بطيئاً بطيئاً إلى رحاب سماء لامتناهية ، ومع الارتفاع تشعر بقوة اندفاع هائلة نحو إشراقة الارتفاع الذي يبدو في ذروة سحره.

ياله من ارتفاع نبيل ذاك الذي يأخذها إليه، وهاهي تكتشف مرة أخرى بأنه كما استطاع أن يفتح أمامها عالماً كاملاً، يجعل حواسها تستيقظ على كل لحظاته وأنواره، هاهو بارتفاعه يفتح أمامها أبواب حياة جديدة ودون أن يناديها, في الوقت الذي تمتلئ فيه شعوراً بأن لالزوم لها في هذا الركن البارد الذي يخلو من أي عنصر من عناصر حميمية الدفء، الركن الذي فقد كل ذرة من ذرات الحياة وأصبح شبيهاً بكوكب مهجور لايصلح للعيش.

كل شيء يشجعها ويدفعها نحو رحاب الحياة المذهلة التي تدنو منها لتبدأ رحلة بحث، ربما تستمر ملايين السنين بتوقيت ذاك العالم، عن شخص مفقود بين بليارات البشر اسمه / وديد /.

مع كل تحليق تزداد ثقة بأن هذه العلاقة التي ولدت أول مرة في الكوكب الذي فقد صلاحيته للحياة بسبب الزمهرير الذي أصابه ، إنما كانت تمهيدًا للحياة الحقيقية التي تدنو منها، الحياة التي يكون اللقاء فيها حقيقياً لا فراق يليه، اللقاء الذي يجعلها تكتشف أن اللقاء الأول لم يكن أكثر من حلم عابر في غفوة صيف بالنسبة لواقعيته وقوة رسوخه.

* * *

لبث كل شيء مجهولاً بالنسبة لوديد، وهو يظن أن زوجته فارقت الحياة كملايين البشر، حتى أن صديقه تمام الذي أتى للقيام بواجب العزاء لم ينبس ببنت شفة حول السر الدفين الذي يخبئه، ولكنه منذ ذلك اليوم لم يحلق ذقنه، وهو يزوره بين شهر وآخر.

بقي وديد مخلصاً لذكرى زوجته وهو يتمتم لنفسه كل ليلة:

أجل يا وديد لقد عشت ورأيت كل ما يمكن أن تريه لك الحياة، ها أنت تعيش حالة هائلة من الصفاء والهدوء، لم تعد تعنيك الأحزان، أو الأفراح، سيان إن ضحكت أو بكيت، سيان إن ارتديت ثياباً جديدة، أم ثياباً رثة، سيان إن جعت، أو شبعت، إن نمت، أو صحوت.

لبنى أعطتك كل شيء، ومَن يعطي كل شيء يمكن له أن يأخذ كل شيء أعطاه.

يتذكر مجددًا كيف أنه تعلّق بلبنى عندما سمع صوتها لأول مرة في الهاتف.

كان الصوت عالماً من رحابة الأنوثة وفيضاناً من الرومانسية، وجبلاً من قوة الإخلاص والتفاني في الآخر.

كان الصوت دليله الأكبر نحو معرفة أغوار شخصيتها، عندما كانت تتحدث، كان يدرك حجم الصدق الذي تقوله الكلمات والنبرات معاً، أحياناً كان يدرك أن الصوت أخذ مساراً مخالفاً لمسار الألفاظ، فكان يوقفها على الفور ويطلب إليها أن تكون أكثر شجاعة في قول أي حقيقة.

كانت دوماً تصارحه بأنها ستبقى مَدينة له طوال عمرها بأنه علمها كيف تكون شجاعة في قول الحقيقة.

كانت تصارحه بأنها ترى فيه كل شيء، ولاتتخيل يوماً واحداً في الحياة دونه، لأن الخسارة عند ذاك لاتعوّض، وهي التي اعتادت على شخص لم يكن يخطر لها أن تلتقيه، شخص أتى فعلّمها كل صغيرة وكبيرة في الحياة، علّمها حتى كيف تستقبل الضيوف،

ترد على الهاتف،

تطهو الطعام،

تمشي في الشارع،

تزور أقرباءها.

كانت دوما تلح عليه أن يعلمها كل شيء، حتى كيف تشاهد مسلسلاً تلفزيونياً، أو تستمع إلى أغنية، أو تتناول طعاماً.

لذلك كانت عندما تريد أن تشرب جرعة ماء مع الطعام، كانت تتذكر كلامه بأن ذلك لايكون جيداً، واستطاعت أن تقلع عن تناول الشاي بعد الطعام مباشرة، فتؤجله ليستمتعا به معاً بعد نحو ساعتين من الطعام.

كل شيء كان مبرمجاً في حياته، وكان يسحرها هذا النمط من حياة إنسان ناجح بكل ما تحمله الكلمة من إشراقات الوقائع اليومية، كانت تكتشف لذة أن تعيش امرأة مع رجل يملأ كل حياتها بكل ما هو جديد، لذلك لم تكن تخفي بأنها لو ماتت لن تندم على شيء لأنها عاشت معه ما لايمكن لغيرها أن تعيشه وتراه.

كانت دوما تقول له: أنت الذي صنعتني يا وديد, أنا مَدينة لك بصناعتك لي.

هشيم المرايا

فراس ديوب

تلفَّتْ تَرَ الحزن ملءَ العيونِ
ودمعٌ تحجر ملءَ الجفونِ
تلفتْ تَرَ الجمر يسري بنبضي
ويوقدُ فيَّ لهيب الظنونِ
لماذا تغير حالُ الحبيبِ
سؤالٌ يثيرُ جنونَ الجنونِ
تمنيتُ، كوني كما شئتِ، كوني
ولكن أحبكِ ألاَّ تكوني
شظايا فتاةٍ، ولحظةَ عارٍ
تكسِّرُ فيَّ بقايا يقيني
تصورتُ فيكِ الحياةَ بهاءً
لماذا انكسرتِ كناي حزينِ
تأملتُ فيكِ خداعاً تصابى
و قلتُ لعلَّ الذي يحتويني
شَفيفُ الحسانِ على كبرياءٍ
و ضاقَ بِيَ الوهم ضيقَ الأنينِ
رسمتُكِ في الظنِ حلماً نادياً
فغابَ على الظنِ سوء الرنينِ
و كنتُ المعينَ على كلِ حالٍ
و ما كنتِ في العمرِ يوماً معيني
و قلتُ احتويني بلحظةِ حبٍّ
فهل ضاقَ منكِ بأنْ تحتويني
غريبينِ كنا، وحيدينِ كنا
طريقينِ كنا، و لن تسمعيني
تكسرتِ مثلَ هشيمِ المرايا
فمن ذا يلمُّ هشيمَ السنينِ
تمنيتُ لو أننا لا نغالي
بوهمٍ منَ العشقِ ... وهمٍ مُهينِ
و لمتُ، كما شئتِ، عوداً طرياً
لأجلكِ أنتِ، ولا لمْ تليني
مللتُ الهدايةَ حتى مللتُ
هدايةَ منْ ساومتني بديني
فعودي لماضٍ مضى، و انتهينا
فكوني و كوني كما شئتِ كوني

شهيد الواجب

حسين أحمد عبد الرحمن

نحن نحيا لكي تعيش الضمائر
فالضمير المرتاح ذكرٌ عاطر
نحن نحيا لكي تسير الأماني
تهتدي ضفة العلي القادر
نحن سر الوجود لو قادنا الشكر
وقاد الحياة ضد الكبائر
مخطئٌ من يرى الحياة انفلاتاً
إنها ثورةٌ وفيضٌ غامر
إنها الحق يستمر ويحيا
يدفع الكائنات يحيي البصائر
نحن نحيا لكي يعشش فينا
هدفُ الله والسلام القاهر
عندما يبذل الشهيد ويعطي
يتلقى وحياً ويعطي الأوامر
يصبح الكون عنده انعتاقاً
من قيود نحو الضياء العامر
كان يسعى لكي يحرر أرض «الشام»
من غاضبٍ ومن عدوٍ وغادر
ودعته أم بقلبٍ حزينٍ
غير أن القلب الحزين الصابر
قد تعزى من الشهادة والإيمان
وارتاح في عيون المشاعر
إن أم الشهيد قد نابنا السقم
وعرب الخليج سقم ظاهر!
يدفعون الأموال كي يقتلوا حصراً
وقتل الإنسان نهج الكافر!
يتغذون بالدماء وبالقتل
ويرتاح جلُّهم ويفاخر!
إنه أم الشهيد والفتنة انزاحت
وولَّت وأصبحت في الأواخر!
غير أن العدل المجرد يدعونا
لرد الحصاة صوب المحاجر!

يا أراضي «الشآم» أصبحت مهد الفخر
فالفخر بالشهادة عامر!
حسبوا «الشام» ملعباً فتداعى
غدرهم بالأذى وخلق المجازر
وأحالوا ساحاتنا من دم الأحرار
نهراً ومن دموع الحرائر!
ليس فينا بيتٌ خلا من شهيدٍ
أو شهيدين أو قريبٍ مهاجر
وادعوا أنها ثورةٌ تزيح الظلم
والظلم ثائرٌ ويعلو المنابر
وادعوا أنهم يريدون سلماً
والسلام الموعود نهب المتاجر
إن أعرابنا أشد نفاقاً
بل وكفراً وحامل الكفر كافر
رحم الله من تتالى شهيداً
مدنياً أو من عموم العساكر
يا إله الأكوان أسبغ علينا
رحمةً قد كتبتها أنت آمر
يا إله الأكوان سدد خطانا
وتقبل قربان أهل البشائر
يا إله الأكوان واحفظ رئيساً
قادنا ضد أشرس المتآمر
ليس للرازحين تحت الرزايا
غير عفو الإله يجلو المخاطر
ما أصابنا من ذنوبنا أنت عدلٌ
غير أن الكريم للذنب غافر
أنت قلت ادعوني وها نحن ندعو
فاستجب يا رحيم واهدِ البصائر

قصيدتان

فراس دياب

ملامحُ لهاربةٍ من العقيق

ميلادها في البحر
للبحرِ قد مدّتْ يديها تشتهي الأرْزقْ
كم زهرةٍ نامتْ على أهدابها
كم عتمةٍ أخفتْ جوىً ما بين نَهْدَيها اللذين...
وسحابتا العينينِ ماطرتَيْنْ
في البردِ ضمّتْ نرجسَ السّاقيْنْ
ومضتْ إليهِ.. وأصبحتْ حُوريّةَ المطلقْ
هي هكذا يشتاقها صيفٌ وبحرٌ.. هكذا أبهى
هي هكذا زنبقْ!
***

لعبة ضوئها
للضّوءِ لعبتهُ الشّجيّةُ:
هذه أنثايَ وحدي.. شهرزادي
أحتويها حينَ أمشي في الرّمالِ
أتيهُ فيها ألفَ عامْ
نامي إذاً
وأنا أحبّك هكذا عفويةً وبلا توابلْ
من دونِ فتحةِ عنبرٍ في الثوب تبكي
أو نجمةٍ في الأُذْنِ تحكي
من دونِ قنديلينِ ضاءا
فوقَ نَهْدَيَ فضّةٍ
أو عتمةٍ سرّيةٍ
وأنا أحبّكِ هكذا
كالعطر عاريةً تماماً
كالشّموعِ وكالدّموعْ
كم ذا تضيفينَ الشّهيّةَ
فوق روحي والصّدوعْ:
[قبقابُ السُّكّر في قدميكِ سيكتنزُ الرّقصْ
تهتزُّ غصونُ القلبِ تنادي طيف فصولْ
ويقرقعُ هذا المطر المهجورُ وهذا البرقُ المذهولْ
قبقابُ السُّكّر في قدميكِ سيسبح في أعماقِ البحرْ
بثمالةِ عشقٍ.. موسيقى.. ونجومِ العرسْ:
سيغنّي:
ثغركِ حوضُ سنابلَ.. بحرُ حليبْ
أسنانكِ أشجارٌ تضحكْ
ولسانكِ يسعى في الليلْ
يسكبُ زيتَ بكائي في الأشجارْ
مسحوراً بندائي
سأشدُّ يديكِ إلى صدري
أتفقّدُ أشجاري وهضابَ رؤايْ
أنتظرُ الآنَ حضورك.. آهْ
ما شاءَ الماءُ
وشاءَ الحبُّ
وشاءَ هديلٌ للنّعناعْ
أنتظرُ الآنَ مُناي
وأُسَوّرُ روحي بالحرسِ الملكيّ
عيني في الكلماتْ
في زيِّ الأطفالْ
في منفضتي..
في منضدتي..
في كُتُبٍ ذاهبةٍ نحو حريقْ
وأحارُ أمامكِ
كيفَ أفاجئُ هذا العالمَ من حولي بزهورِ فراشْ
كيف أزيّنُ شعركِ بالأزهارْ
يا فتنةَ هذا اللبنِ الضّافي
وأنا مذ كنتُ صغيراً والقرصانْ
يزحفُ للخشبِ المتبقّي من عمرِ طفولتيَ الأحلى

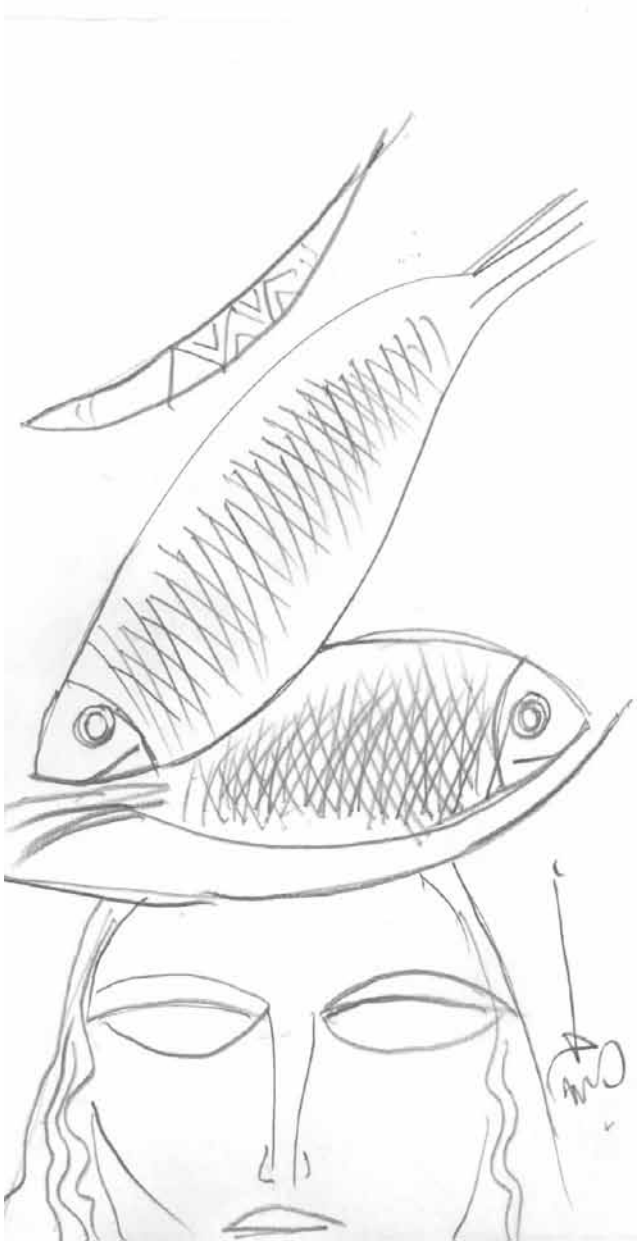

ويبوحُ به الحَجرُ الرّاسخُ في الجدرانْ
يحلمُ بالميناءِ صباحاً
ويلوّحُ للقبطانْ
يخشى في الليل هروبَ الماءِ..
ضياعَ السّفن الأحلى
من كفّيهِ فيحلمُ فيها الآنْ

***

كلماتُها

- 1 -
ضائعاً .. ضائعاً في الهديلِ
ولا أهتدي لقبابِ المياهْ
ضمَّ روحي الغبارْ
أتوسّلُ كفيّكِ أن تستريحا على ضفّةِ الماءِ
هل أتحدّثُ عنكِ سدى ؟
أتخبّطُ بالكلماتْ
وأحاولُ تشكيلَ عينيكِ من وجعي وعقيقِ السكونْ
إنّها الكلماتْ
لا تعودُ لنا من طلولْ
يَكْمُنُونَ لنا
في الكتابةِ دونَ مدى
يَكْمُنُونَ لنا الآنَ
في كلِّ أُفْقٍ بلا غايةٍ
تضحكُ الآنَ ممحاتُنا الأبديّةُ
يبتسمُ الدّفترُ الأميُّ
وتَبْسِمُ هزّةُ أمّي التي قتلتْها بدونِ صدى

يا منى .. يا منى
إنّهم يضحكونَ علينا إذاً
بمشاريعَ عاتمةٍ
وبماءٍ لأنهارهم لا يفيضْ
يركبونَ الحروفْ
يضحكونَ على حلمنا
ويغشّونَ طبعةَ أسمائنا
غيرَ أنّي أظلُّ صعوداً – هبوطاً
قياماً – قعوداً .. أنادي منى
سوفَ أدعوكِ .. أدعو الفضاء منى
رغم ممحاتِنا
رغم ما يدّعونْ
ويقولونَ : كم يزرعانِ حقولَ الظّنونْ
يجنيانِ ثمارَ الجنونْ
في مدارِ الأغاني
وفي وطنٍ لا يكونْ

- 2 -
أخرجتْ زهرها لي
وغنّتْ على الماءِ حتّى شروقِ فمي
أغنياتِ البلادِ الجميلهْ
رصّعتْها نجومُ السوادْ
أخرجتْ طينها اللّبنيَّ
حليبَ الرّمادْ
ذبحتْني ببرعمها
هاجرتْ من شفاهيَ خُضْرُ الطّيورْ

- 3 -
سنةٌ ماضيهْ
سنةٌ قابلهْ
سنةٌ خائفهْ
من مصيرِ العيونْ
تحت ضوءٍ شحيحْ
أتفقدُ قمصانكِ الحائرهْ
حبرَ عينيَّ
كم تشهرينَ دمي
في انتظارِ الرّؤى الطّائرهْ
تتوتّرُ روحُ المواويلْ
تُغْلِقُ الصّورُ الحانيهْ
كلَّ ألوانها
والهويّةُ نائمةٌ في المساحةِ ضائعةٌ
كم تسيلْ
ويشكّلُ سائلها نكهةَ الهاويهْ
وأرى النائمينَ يسيرونَ فيها على موجةِ المستحيلْ
في لباسٍ توحّدهُ المِدْحَلَهْ

- 4 -
زهرتي تطبخُ الآن حقلَ النّجومِ
لكي ينضجَ الليلُ
تنبعُ فتنتها مثل شلاّلِ ثلجٍ
وتصعدُ رغوتُها
نحو قلبي
فينسابُ ينبوعُ دمّ
أمسِ نامَ القمرْ
في جدائلها
ثمَّ جاءَ النّهارُ بأمطارِ ملحٍ
وأحلامِ حبرٍ
ترى هل تعيدْ
في سماواتِ قلبي
نجمَ الفضاءِ الشّهيدْ

العض على الأصابع

سليم عباسي

الساعة تشير إلى منتصف الليل، والظلام الحالك في الغابة ليس فيه بصيص من ضوء إلا تلك (النجوم الصغيرة) تلمع من خلال النباتات. شيء في داخلي يعصف بقوة (أحسبتها نجوماً ؟! إنها يا جاهل عيون الحيوانات المفترسة تبحث عن فريستها!!). قلت بصوت مرتجف يدور في حنايا صدري (اللهم لا تجعلني أنا الضحية). وما هي إلا دقائق حتى سمعت صوتاً من بعيد أشبه بانقضاض مفاجئ وصرخات تستغيث وليس لها من مغيث. ثم راحت تخبو وتخبو إلى أن سكتت، وحلّ محلها هرج ومرج لوحوش تجمعت حول وليمتها الطازجة. بقيتُ في توتر حتى الصباح وأنا أتساءل (هل كان الهجوم ضد الثيران ؟ وهل أصيب صديقي «جود» بأي مكروه؟!).

المشهد في النهار يختلف والخطط بدورها تختلف.

تستيقظ شمس الصباح على مشهد الثيران ترعى العشب ببراءة الأطفال والضواري تنسج المؤامرات من بعيد. التمساح المخادع يخفي جسده المرعب في الماء إلا عينين بارزتين تمشطان المكان وتنتظران. الذئاب والضباع لا مكان لها مع اللبؤات إلا بكثرة العدد وتجمّع يفرض نفسه فرضاً ويحرجها.

وأنت يا صديقي جود، أيها الثور المسكين! ما أشبه حالك بحال الشاعر القائل :

ما أكثر الأصحاب حين تعدّهم
لكنهم في النائبات قليلُ

كنت تحتمي (بأشقائك)، لكنهم تركوك في الشدة تقارع الأعداء وحيداً. قل لي بربك أين الخطط التكتيكية التي يتخذها القطيع لحماية أفراده؟

نفخ جود نفختين من خطمه الكبير واقترب مني، فحسبته سينطحني ثأراً للمعذَّبين في مصارعة الثيران، أو أنه سيبوح لي بسرّ في أذني، وقال:

لا خطط (ولا هم يحزنون).. كانت وحدة القطيع ترهب الأعداء ويخشون مجرد الاقتراب منه. إذا هجم أحدهم تصدى له عدد منا، وأشبعناه طعناً بالقرون وضرباً بالحوافر، وأجبرناه على الهرب للنجاة بجلده. وفي حال التكاثر ووجود الصغار بيننا، كنا نجعلهم بمأمن في الوسط ونقف نحن سياجاً لهم في المحيط.. أما الآن فحدّث عن الخيانة والعمالة ولا حرج..

قلت (إن تشكُ لي أبكِ لك.. دعها في القلب تجرح لئلا تخرج فتفضح).

أضاف على الفور: (انظر إلى «شقيق لي» هناك يأكل العشب متمهلاً، وكأن شيئاً لم يكن؛ بل ويخور كحمار أحمق ينهق لجلب مزيد من الأعداء نحوي..

سألته باستغراب :

وما موقف قائد القطيع ؟

قائد القطيع الملقب (بالكبير) يمنع أي واحد منهم تـراوده نفسه أن ينفصل عنه أو يميل للانضمام إلي.

بغتةً، قُطع الحديث بيننا لخطر داهم.. رأيت اللبؤات وضمن خطة مرسومة قد أخذت كل منها خطاً للتقدم والإحاطة بالقطيع، وسرعان ما تفرق الجمع، وكأنهم يخلون للمهاجم الطريق، ويوعزون له بالدخول بلا مقاومة، وغايتهم الخبيثة النيل من جود. تركوه وحيداً في الميدان وتمكنت اللبؤات الثلاث من محاصرته، وقفزت إحداهن على مؤخرة ظهره تنشب مخالبها وأنيابها بقوة الكلاليب في جسده! احتدم النزال، وأحسست كأن صاعقة قد فلقت رأسي، وأيقنت أنها الضربة القاضية.. لكن ظني خاب حين ألفيته يقارعهن بقرنيه وقائمتيه الخلفيتين وينزل بهن ضربات موجعة، ولا يتوقف عن الدوران كي يتصدى للجميع معاً ولا تتمكن إحداهن منه.

تعلقتْ حواسي كلها به لشجاعته ودفاعه المستميت عن حقه في الحياة والحرية.

تراخت كلاليب اللبؤة، فسقطت أرضاً، وتركت الدماء تتدفق من ظهره. شعرت بقلبي يكاد ينفطر لهول ما أرى، وأكاد أسمع صوت الألم المدوّي مما يعانيه الثور المكافح. اتجهت اللبؤة نحو عنقه لتحسم المعركة خنقاً، لكنها لم تستطع أمام دوران وهجوم دائبين وضرب للأمام والخلف بآن معاً. صمود بين الطرفين يوحي بأن نهاية الثور مسألة وقت ليس إلا. فكل مَن رأى ما رأيت حسب أن ساعة الصفر قد حلّت، والنتيجة قد حُسمت لصالح المخالب والأنياب.

لم تثنِ جوداً وهو في خضم هذه المجابهة، فكرة ومضت ومضاً في داخله عن عشيرته وإخوانه كيف غادروه في أحلك الظروف.

تذكّر كيف نجا قبل أسبوع من التمساح الخطير في لحظة غفلة في أثناء اقترابه من الماء لسد غليله. فغدر به التمساح بعضّة علقت فيها أنيابه الحادة بطرف قائمته، فلم يستسلم المغدور، ونجا من ذلك الفخ اللعين بأعجوبة.

تذكّر كيف نجا من مجموعات الذئاب والضباع بثباته ودفاعه العنيد عن حياته وأرضه، غير مبال بجراحه وهمومه.

مواقف عدة دارت بخلده سريعاً. وكلها مواقف صبر وثبات وإرباك للمهاجم، كان يكسب بها المعركة دوماً.

نحن الآن في نهاية القتال، ولا أدري من أين خُلقت الضباع والذئاب، تنادت كلها للتطفل على مأدبة وشيكة.. حتى النسور حلّقت فوق ساحة الوغى تهمّ بالهبوط فوق الضحية المرتقبة.. ولكن توقعاتهم باءت بالفشل وانتصر الضعيف على القوي!

اختفى العدو منهك القوى يلملم بقايا أعضائه المفككة، وبقي الثور على أرضه كبطل أسطوري، لا يبالي بدمائه وإصاباته المؤلمة. وكأن رحمة السماء لم تبخل عليه بشمسها اللاهبة تداويه بها لتشفي جروحه.

ما زالت تدوّي في داخلي (ما أكثر الأصحاب..... لكهنم.....) لكنهم ماذا..! أصبحت تملأ رأسي أفكار صاخبة ومواقف متناقضة.. إني أراهم مندهشين لأمر ما.. أهو القوي المنهزم ؟ أهي إشراقة الطمأنينة ؟ إني أرى الكبير نفسه يقوم بحركات (سيركية) كأنه ينوي قضاء بقية حياته في السيرك، ثم يتقدم نحو جود مطأطئ الرأس!

معنى ذلك في مفهوم الثيران، أنه يبايع جود قيادة القطيع..!!

أمانة الشهيد

سوسن رجب

مثلُ كل أطفال الدنيا
خداه تفاح
عيناه واحات
شفتاه شدو حَمَامْ
عندما يجوع يبكي
عندما يتبلل يبكي
وعندما يعضُّهُ الوجَعُ
أيضاً يبكي
مثل كل أطفال الدنيا
عندما يأتي إليها
يطلق صرخة
مثل كل أطفال الدنيا
عندما يبلغ أربعة شهور
يكاغي ويناغي
يربد ويُزَبّدُ
وعلى أبواب السبعة
على أربعٍ يحبو
مثل كل أطفال الدنيا
في التسعة
هللنا لأولى خطاه
شهدنا بزوغ أول
حبات (اللولو)
على مسرح الثغر
مثل كل أطفال الدنيا
معه تأتأنا ..ثأثأنا...وفأفأنا...
ها هو يركب أولى الكلمات
ما...ما.....ماما
دا...دا.....دادا
تا...تا.....تاتا
مثل كل أطفال الدنيا
يأكل فيشبع
يلهو ويلعب
ينامُ ويأمَنْ
يسلمُ ..ونسلمُ معهُ
غيرَ أنه
لا يشبهُ كلَّ الأطفال ....
مختلفٌ عنْ
كلِّ أطفالِ الدنيا
عكس حقه...
الطبيعي والقانوني والدولي
هو طفل يولد كبيراً
هو طفل يولد رجلاً
هو طفل يولد راشداً..فارساً
ليس ككل أطفال الدنيا
ونحن نقفُ أمامَهُ وحدَهُ
كما نفعلُ أمامَ علمِ البلادِ
بعز..بشموخ....وبحب
ونرفعُ اليدَ سلاماً وتحية
إليك..أيها الطفل الكبير
إليك ..أيها الطفل الأمير
لأنك أنت..أنت ..أنت ...
ابن الشهيـــــــــــــد

أرقام القبور.. في سيرة كل مقبور.!

عدنان كنفاني

حدّثني صديقي عبد الرزّاق بن محمد بن عبد الرزّاق.. قال:

ـ منذ عشرات السنين حدّثني متعهّد حفر القبور في مقبرة باب الصغير، أنهم كانوا ينزلون بضع درجات في طريق دخولهم إلى المقبرة.. واليوم نصعد إليها بضع درجات..!

قلتُ:

خفف الوطأ، ما أظن أديم الـ

أرض إلا من هذه الأجساد..

قال: لنا فيها قبور ثلاثة، ورثناها كابراً عن كابر.. في أحد الصباحات وجدت شواهد القبور تحمل أرقامًا سوداء مكتوبة بخط رديء، فهرعت إلى مكتب دفن الموتى للاستفسار.

قلتُ: فعلت حسناً..

تابع وهو يبتسم: واحد من قبورنا الثلاثة يحمل لوحة رخاميّة عليها اسم أسرتنا، لكنّه فارغ.. القبر الثاني ترقد فيه والدتي رحمها الله.. أمّا القبر الثالث فترقد فيه جثامين جدّي وأبي وأخي رحمهم الله.. وقفت في آخر طابور طويل من المراجعين أمثالي، وعندما جاء دوري، والتقط الموظّف من فمي بعض المعلومات، فتح دفتره الكبير، وبادرني من دون أن يرفع ناظريه:

ـ أمّا القبر الأول الفارغ فهو ملك للدولة.!

أبـرزتُ في الحال إيـصـالاً من حفّار القبور المرحوم -وهو جد الحفّار الحالي- ممهوراً بختمه وتوقيعه، يقول بأن والدي رحمه الله اشترى منه «بصفته المتعهّد في ذلك الوقت» قطعة أرض تتّسع لقبرين، وبناهما من تحت في وقت واحد، وسقفهما بسقف واحد من الاسمنت المسلّح.. وقلت أنهم يستطيعون التأكد من ذلك بالكشف الصريح..

المشكلة يا صاحبي أنهم يقصّون أولاً ثم يعدّون.. الخلاصة.. لم يسمعني بل قال:

ـ إذا لم تدفع 2000 ليرة يطير القبر؟

وحتى لا يطير القبر، وحتى أحافظ على عهدي لأبي، وحتى أضمن مقاماً لرقدات الراحلين، توكلت على الله ودفعت 2000 ليرة بالتمام والكمال، وحملت الإيصال تحت إبطي، ومضيت راضياً..

بعد أكثر من عام سمعتُ، «والكلام ما زال لصاحبي»، وقـرأتُ إعلاناً يدعو أصحاب القبور لمراجعة مكتب دفن الموتى.. فهرعت إليهم، أحمل إيصالي العتيد، وابتسامة رضى كوني من السبّاقين إلى تنفيذ تعليمات الحكومة..

أطلق زفرة حـارّة وتابع: التعليمات الجديدة الصادرة عن مكتب دفن الموتى تستدعي تقدّم أصحاب القبور بطلبات إثبات ملكية جديدة أيضاً، ولم تنفع كل بياناتي وإيصالاتي وشهاداتي في إقناع الموظف النشيط بأنني صادق فيما أقول.. الخلاصة.. حزمت رأيـي وتقدمت بطلب حسب الأصـول وعلى الصيغة التي أملوني إياها.. وما أن وقع نظره على عبارة القبر رقم كذا فارغ، حتى انتصب واقفاً وقال:

ـ عليك أن تدفع 7500 ليرة ثمناً للقبر الفارغ حسب التسعيرة الجديدة.. وإلا سيطير القبر..

أبرزت الإيصال القديم، وراجعت موظفاً أعلى مرتبة من صاحبنا، كان متفهّماً، وكاد أن يقتنع بواقع الأمر، لكنّه من باب «المواطن كاذب حتى يثبت العكس»، أحال طلبي إلى موظف الكشف، ولاحـظـت حاشية على طـرف الاسـتـدعـاء الـذي تقدّمت به يقول فيها:

(للكشف على القبور الثلاثة ذوات الأرقام كذا وكذا وكذا..)

سكتَ صديقي، محدّثي، قليلاً في محاولة لبلع ريقه الناشف ثم تابع:

موظف الكشف يُجري كشفه بعد أن تتراكم بين يديه استدعاءات كثيرة.. بلا طول سيرة بدأنا أنا وعشرة رجال «أصغرنا سنّاً موظف الكشف» الذي كان يقفز فوق القبور مثل العصفور، ونحن نحاول أن نجاريه، ونراضيه، نخبّ بين القبور مثل الحرادين في عزّ الظهر، وهو لا يكف عن التذمّر والشكوى، ويقول بين الفينة والأخرى.

ـ يا أخي مجنون من يقبل بمثل هذا العمل.. غبار وعفار.. وقبور فايته ببعضها.. ولا يشترون لنا طاقية نحمي بها رؤوسنا التي تشويها أشعّة الشمس..!

تعاونّا جميعاً على تمويله بثمن طاقية خمس نجوم.. المشكلة عندما أشرفنا على موقع قبورنا الثلاثة..

قلتُ وأنا أستمع إلى بوحه وقد كادت تفقع مرارتي:

ـ خير إن شاء الله..؟

قال: منذ مدّة أعلمني الحفّار أن شاهدة قبر أمـي مكسورة، بعد أن صدمها نعش محمول على الأعناق، ومن باب إيماني بقضاء الله وقدره، وحرصي على كسب رضـا الوالدين الراحلين.. هرعتُ، وركبّت شاهدة رخامية جديدة للقبر، وقمت بعمل صيانة عامّة للقبور الثلاثة، وقد نقل الرخّام الكلام المكتوب على الشاهدة المكسورة إلى الشاهدة الجديدة بالكلمة والحرف والفاصلة والرقم..

موظف الكشف سألني إذا كنت حصلت على رخصة ترميم قبل أن أركّب الشاهدة الجديدة، وعندما أجبت بالنفي كوني لم أطّلع على التعليمات في هذا الشأن، وضع القلم وراء أذنه، وربط ذراعيه ببعضهما، ونظر إلي نظرة أسى وألـم، وتمتم: وبعدين؟

قفزت إلى رأسي فكرة..! الشاهدة القديمة المكسورة ما زالت قطعاً متناثرة في أرجاء المكان، ركضت وجمّعتها إلى بعضها، وحين اكتملت وبانت كلماتها وتآريخها، قلت له تعال وانظر، وتأكيداً على حسن نيّتي كبست يـده أيضاً، فأضاف إلى واقعة الكشف جملة:

«شـوهـدت شـاهـدة مـكـسـورة تحمل ذات مواصفات الشاهدة المركّبة على القبر..»

قلتُ أنا هذه المرّة وقد كاد ينفد صبري، ومبدياً تعاطفي، ولسان حالي يستعيذ بالله من شر الشيطان الرجيم: ظهر الحق، وزهق الباطل!

تابع وعلى شفتيه ابتسامة صفراء: عادت الكشوف إلى موظف تبدو عليه علائم النشاط، ما أن قلّبها بين يديه حتى انبرى يسألني:

ـ خديجة.. مين هيّ خديجة..؟

قلتُ -وصاحبي القائل-: أمي رحمها الله..

قال وهو ينظر إليّ بسخرية: أمّك.. شو شايفني غبي لأصدّق..؟

أجبته محاولاً الشرح والتوضيح: لأن اسم عائلتها يختلف عن اسم عائلة أبي..

قال مغتبطاً: هـاه..هـاه.. أحضر بيان عائلة باسم أمّك لنعرف منه اسم زوجها وأسماء أولادها، ثم يصير من حقّكم بعد ذلك استعمال القبر لأسرتكم..

ثم سألني وهو يلوي شفتيه: يا أخي فهمنا، القبر الفارغ صار إلكم، لكن مين هدول.؟ عبد الرزّاق ومحمد وأحمد المكتوبة أسماؤهم على شاهدة القبر الثالث.؟

قلت: جدّي وأبي وأخي..

ابتسم ابتسامة جميلة وأردف وهو يطوي الإضبارة: أحضر بيان عائلة باسم جدّك ووالدك وشقيقك..

قبل أن أجدّ الخطا إلى دائرة النفوس لتنفيذ المطلوب، استوقفني رجـل تجاوز الثمانين، وسألني:

ـ من أين يخرجون بيانات العائلة؟

قلت: من دائرة النفوس..

قال: وأين أجد دائرة النفوس العثمانية؟

سألته بدهشة: العثمانية!؟

قال وهو يزيح القذى عن عينيه الصغيرتين المجهدتين:

ـ طلبوا بيان عائلة لجّدي صاحب القبر الأول، وقد حدّثني والدي رحمه الله بأن جدّي توفي قبل حرب السفر برلك.!

بعد أيام أحضرت القيود، وسلّمتهم للموظف النشيط الـذي ربطهم بـدبـوس مـع معروضي الأول، وأردف وهو يرميهم بعيداً: خلص الله معك.. مبروك، القبور الثلاثة أصبحت ملكاً خالصاً لأسرتكم..

ثم التفت إلى الناس وقال خطيباً:

ـ لقد أصدر مكتب دفن الموتى «تحت شعار الحدّ من الاحتكار» تسعيرة جديدة للقبور في مقبرة باب الصغير.. ألف وباء وجيم.. قبر جاهز فوق وتحت بـ 7500 ليرة فقط..

قلت: يا سلام..

وحاولت من باب الفهلوه أن أشتري قبراً جديداً حسب التسعيرة الجديدة.. انتحيت بالموظف النشيط جانباً، وسألته أن يبيعني قبراً وله إكرامية..

لوى شفتيه أسفاً وقال: والله ما في ولا قبر..

وقبل أن أخرج امسكني من ذراعي وهمس:

ـ إذا راجعت الحفّار يمكن أن يدبّر لك قبراً..

ثم أخفض صوته وقـال: بس السعر أعلى شوي..

السعر الأعلى شوي يعني فوق الخمسين ألف ليرة..

قلتُ في سرّي -وأنا المتحدّث الآن-: سأكتب في ذيل وصيتي:

متى خرج السر الإلهي من صدري، فادفنوني في أرض جرداء، في ريف أبعد قرية، لو في أقاصي الصحراء، لم تصل إلى مقابرها بعد صرعات البلاء..

ولا بدعة الأرقام الجوفاء.. والسلام عليكم أيها السادة الأحباء.!

ـ ـ

ملحق..

منذ أيام حدثت حالة وفاة في أسرة صديقي، وعندما ذهب إلى مكتب الدفن لفتح القبر الفارغ المثبّت مرتين، قال له الموظف، وهو يفتح أوراقاً تشبه أوراق البقال أبو اسكندر في حيّنا:

ـ يا سيدي هذا القبر غير مثبّت.

ضحكت، إذ يبدو أن مكتب دفن الموتى لم يسمع بعد بالأتمتة؟ ولا بالكومبيوتر، ولا بسجل تقني ثابت لكل قبر تسجل فيه حيثيات ما يجري عليه..!! على فكرة.. أبو اسكندر البقّال يفكر جدياً أن يشتري جهاز كومبيوتر خاصاً لتسجيل أرقام الإيصالات المدفوعة لقبور أسرته، ويسجل فيه أيضاً حسابات محله.!!!

فتح باب الترشح للدورة الثانية عشرة لجائزة الصحافة العربية

أعلنت الأمانة العامة لجائزة الصحافة العربية ممثلة بنادي دبي للصحافة عن فتح باب الترشيح الكترونياً لجوائز الدورة الثانية عشرة عبر الموقع الالكتروني للجائزة .www arabjournalismaward.ae ، على أن يكون الموعد النهائي لاستقبال الطلبات 2012/12/31.

هذا وقد عقد مجلس إدارة الجائزة و الأمانة العامة لها اجتماعات مكثفة في دبي أسفرت عن تطوير شمل غالبية الفئات في ظل السعي لمواكبة آخر التطورات المتسارعة التي تشهدها الساحة الإعلامية العربية.

وستعمل الأمانة العامة خلال الفترة المقبلة على تشكيل لجان تحكيم لمختلف فئات الجائزة؛ وتجدر الإشارة إلى أن القيمة المالية لكل فئة هي 15 ألف دولار أمريكي باستثناء فئة العمود الصحفي بقيمة 20 ألف دولار، وشخصية العام الإعلامية التي تصل قيمتها إلى 50 ألف دولار.

جائـزة كارلـــوس فوينتـــس

لماريـــو بارغـــاس يوســا

منحت جائزة كارلوس فوينتس الدولية الأولى التي تحمل اسم الكاتب المكسيكي الشهير الذي توفي في 15 أيار الماضي للكاتب البيروفي ماريو بارغاس يوسا الحائز جائزة نوبل للآداب في العام 2010.

وتكرم هذه الجائزة الأدباء الذين يكتبون بالإسبانية، ويساهمون في إثراء الإرث الأدبي العالمي، وقد بلغت قيمة الجائزة هذه السنة 250 ألف دولار.

وقال يوسا خلال مؤتمر عبر الهاتف: «لم أكن أتوقع الفوز بأي جائزة بعد نوبل، لكن هذا التقدير مرتبط بالدور الذي كان يؤديه فوينتس في الحياة الثقافية في المكسيك».

يتسلم يوسا جائزته في مكسيكو في 11 تشرين الثاني في ذكرى ميلاد فوينتس

جائزة بوكر للرواية لهيلاري مانتل... ثانية...

فازت الكاتبة البريطانية هيلاري مانتل بجائزة «بوكر» للرواية للمرة الثانية عن روايتها «Bring Up The Bodies» («ارفع الجثث») وهي الجزء الثاني لروايتها التاريخية «وولف هول» التي تتناول حياة السياسي الإنكليزي توماس كروميل.

وبذلك تصبح مانتل أول امرأة وأول بريطانية تفوز بالجائزة مرتين بعد أن سبقها إلى ذلك الكاتب جي أم كوتزي المولود في جنوب إفريقيا والكاتب الاسترالي بيتر كاري.

وبحسب النقاد فإن مانتل استحقت الجائزة لأنها أفضل الروائيين الحاليين استخداما لمفردات الإنجليزية وعباراتها.. ولكن لم يكن هذا هو السبب الوحيد. فكثير من كتب المؤلفين تشبه بعضها بعضاً, إما لأن الكاتب لا يستطيع أن يكتب إلا بأسلوب واحد, أو أنه لا يريد أن يكتب إلا بأسلوب معين, أو أنه يخشي إن حاول استخدام أسلوب جديد أن يفقد قراءه الذين كسبهم في كتبه السابقة.. وهو خوف مسوّغ.

«في العرس الشامي» جديد منير كيال

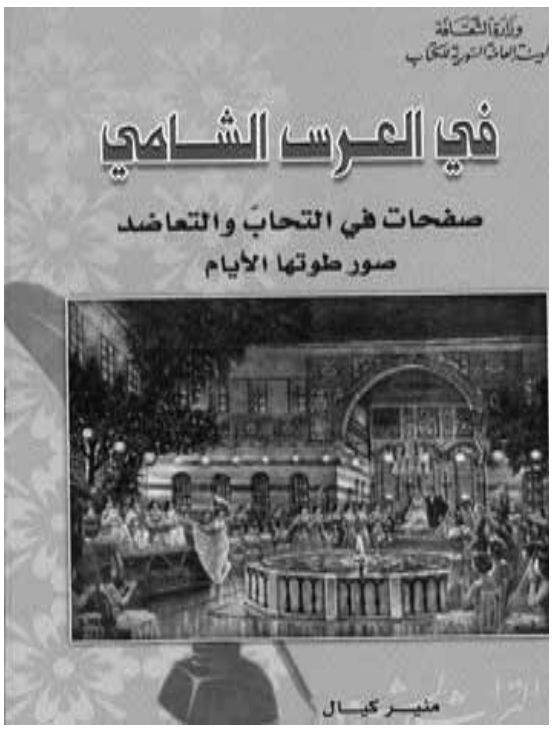

أصدرت وزارة الثقافة- الهيئة العامة السورية للكتاب دراسة للكاتب منير كيال بعنوان «في العرس الشامي... صفحات من التحاب والتعاضد... صور طوتها الأيام».

يرصد الكتاب الحياة الاجتماعية في دمشق من نهاية القرن التاسع عشر حتى العقد الرابع من القرن العشرين في إطار من السلوك المطبوع بالعادات والتقاليد، كما يقدم صوراً معاشة لأصدق ما كان عليه الناس من تواضع وسلوك وممارسة في إطار الأسرة وتحاب أبنائها وتعايشهم على السرّاء والضراء، وبخاصة ما كان في موضوع الخطبة والزواج ومراحل تلك الخطبة وبخاصة ما كان في أمر البحث عن الزوجة المناسبة، ودور الخاطبة؛ أو الأهل في البحث عنها وصولاً إلى عقد القران، وبالتالي قيام الأفراح والليالي الملاح السابقة للعرس من نقش وحنّاء وحمام العرس، وحلاقة وحمام العريس وحفل التلبيسة وعراضة العرس وبالتالي حفل العرس وما يرافق ذلك من أهازيج وأغان كانت معروفة في ذلك الحين.

سورية في مواجهة مؤامرة كنيس الشيطان وخطر المرابين الدوليين /تتمة/

بالتركيز على اقتناص هذه الأمة، فاصطدمت بأعتى مانع يتمثل بسورية والسوريين، بوصفها /سورية تدرك أبعاد هذا المخطط، وخطورته على الأمة العربية والدائرتين الإقليمية والكونية، ومن هنا كان هذا الفرز على مستوى العالم، وكانت سورية هي نقطة المركز بالنسبة لهذا الصراع الذي يؤمن أطرافه، أن من يفز باكتساب ودّ سورية يعدّ الفائز الأكبر والمنتصر في استراتيجيته التي تتخطى المنطقة فيما بعد إلى أبعاد كونية، يترتب عليها لاحقاً رسم إيديولوجية تمتد عناوينها إلى عقود، وربما إلى قرون، إلى أن تفرز التفاعلات الحضارية والاقتصادية، وما يتوصل إليه العقل البشري من إبداع في مجالات روحية إنسانية، تتجلى فيها قدرة الله جمالاً وكمالاً، ومعجزة متفردة عن سائر خلق الله!

وسورية التي تنعم بهذا الشعور الوطني المشترك كأسرة واحدة، الذي لم يكن ليتكون، ويتم خلقه بهذه الصورة الحسنة في سنين وعقود؛ بل لابد أن تكون عملية خلقه وتكوينه حتى حالة الكمال والنضج، والاستواء التي هو عليها، قد أتى عليها حين من الدهر، وتوالت عليها دفقات من أمواج بشرية متعددة ومتنوعة الثمار الفكرية والإبداعية، فتركزت فيها عملية الثقة والأمان والحب بين جميع مكونات المجتمع السوري، كان قد لعب في هذا كله التفاعل والتعامل والثقافة الروحية التي كرست الحب ومفهوم الوطن فوق الجمعي.

كل هذه المعطيات والمفاهيم منحت سورية القوة، إلى جانب مناعة شعبها ومؤسساتها الحكومية والإدارية المتكئة على منابع القوة المتدفقة من منبعها ومنشئها القومي، ما جعلها عصية على المؤامرات التي ما غفلت يوماً عن التفكير في انكسارها وإخضاعها، للأسباب والمقومات التي تتمتع بها، وللتأكيد على صحة ما نقدمه في هذا المرابين الدوليين منذ عام 1776م، كما جاء على لسان مؤسس هذا المخطط «آدم وايزهاويت» الذي قال: «لقد خططنا للحرب العالمية الأولى والثانية، وأنجزنا من خلالهما الغاية التي لعبنا من أجلها!»

وأما الحرب العالمية الثالثة، فقد قضت الخطة أن تثير النزاع الدائم بين الصهيونية وبين قادة العالم الإسلامي، وفي الوقت ذاته تقوم الشعوب التي تجد نفسها منقسمة حول هذا الصراع بقتال بعضها بعضاً حتى تصل إلى حالة من الإعياء المطلق الجسماني والعقلي والروحي.. والاقتصادي، ولكي نسرع بإنضاج الظروف المهيئة، قالوا وبالحرف: سوف نطلق العنان للحركات الإلحادية، والحركات العدمية الهدامية، وسوف نعمل لإحداث كارثة إنسانية عامة تبين بشاعتها اللامتناهية لكل الأمم كنتائج الإطار المطلق!، وسيرون فيه منبع الوحشية، ومصدر الهزة الدموية الكبرى، عندئذٍ سيجد مواطنو جميع الأمم أنفسهم مجبرين على الدفاع عن أنفسهم حيال تلك الأقلية من دعاة الثورة العالمية، فيهبون للقضاء على أفرادها محطمي الحضارات ومدمري الأديان السماوية ـ ليقيموا مكانها عقيدة الشيطان التي ستصبح ظاهرة عالمية، والتي ستأتي كنتيجة لردة الفعل العام لدى الجماهير بعد تدمير الأديان السماوية (1).

ثم أو بعد هذا من شك، في أن ما يجري في العالم العربي على وجه العموم، وفي سورية وعلى وجه الخصوص، هو من فعل المؤامرة الكونية التي تديرها قوى الشر في العالم، ومن ورائها الصهيونية ـ وبكل أسف ـ بأيدٍ عربية ـ تدعي العروبة والإسلام؟!

---

1 ـ أحجار على رقعة الشطرنج لمؤلفه، وليام غاي كار.

تشرين.. وابلٌ وجنى

عبير حبيب

في ذكرى حرب تشرين التحريرية المجيدة ١٩٧٣م

يا قامةً طاولَتْ رَادَ الفضا زمنَا
حتّى استحالتْ حميَّاهُ لنا وطنا
حتّى استمالت نجومَ الكونِ في شَغفٍ
تعدوْ إلينا فُرادى أو تَهِلُ ثَنا
يا حافظَ العُرْبِ أنتَ المُرْتَجَى أبدا
نشدو بِحُبِّك سِرّاً كانَ أمْ عَلَنَا
لنْ يأتيَ البطلُ العاتيْ يُواكِبُكمْ
لا قيصرٌ جَلَّ، لا كسرى بَنى مُدُنا
زَيَّنْتَ وَرْدَ شآمٍ في مشاتِلِهِ
نَدَاكَ نَدَّى نَدَاهُ عاطراً سَكَنَا
تَحْنوْ تُهَدْهِدُهُ دِفئاً وعاطفةً
ورونقاً جالَ بالخدّينِ فافتتنا
رَوَّيتَهُ منْ سخاءِ الروحِ مِنْ كَرَمٍ
«في جانِحَيْكَ» حناناً وارِفاً وغنى
فإنَّهُ الحُبُ والشمسُ التي سطعتْ
في مهجةٍ لك أعطتْ وابلاً وجنى
لاقاكَ وردُ بلادي مُذْ حَنَوْتَ لهُ
غنّى، تمايلَ مَيَّاساً لكمْ وحَنَا
إنَّ البطولةَ بالقِسْطاسِ نكتبُها
زهوُ البطولةِ ميزانٌ قدْ اتَزَنا
تشرينُ طلَّ دياجيْ الدهرِ تَذكُرُهُ
كيفَ استبدَّ بها كالسيفِ جاءَ سنا

أكرمْ بسيفٍ غدا للظلمِ باتِرهُ
أكرمْ بسيفٍ غدا بالحقِ مُرْتَهِنَا
أكرمْ بتشرينَ تاريخاً ومعتقداً
شعباً تساقى كؤوسَ العزِّ فامْتَهَنا
أكرمْ بجيشٍ ومن قحطانَ مَنْبتُهُ
غذَّى الوغى من ضياءِ المجدِ ما وَهَنا
خيلٌ لنا يَعْرُبيَّاتٌ قدْ امتزجَتْ
يومَ المُنى فتجارتْ ها هنا وهنا
إنَّ الليالِيْ وإنْ عُلَّتْ مَفَاتِنُها
عِندَ الكُمَاةِ دواءً قدْ غلا ثمنا
فإنَّما الباسلُ الجَبَّارُ في فَزَعٍ
نحوَ الفِدى مُرْخِصَ الأحداقِ ما استكنا
صاحَ الكُميتُ: بيومِ الروعِ مَنْبِتُنا
أُسْدُ العرينِ رحىً قد جَلَّ من طحنا
برقٌ ورعْدٌ وهوجاءٌ كعاصفةٍ
تستنبتُ الماردَ المدفونَ إذْ رُهِنا
مِنْ مشرقِ الأرضِ جئنا، مِنْ مغاربِها
كتائبَ الفجرِ نبني للمُنى سَكَنَا
من غيْهبِ الأرضِ قُمنا مِنْ مفاوزها
نُعطي العِدا ثمناً، نكسوْهُمُ كفنا

فإنَّهُ الجُرحُ وثَّاباً بصاحبِهِ
نحوَ العَيَاءِ الذيْ قدْ أثقلَ البدنا
لا سَكَّنَ اللهُ جرحاً باتَ جارحُهُ
يقضيْ الليالِيْ هنيئاً، مُثرفاً، أَمِنَا
يمشيْ اختيالاً على الأجداثِ في بَطَرٍ
يعدوْ افتخاراً تخالُ الخُلْدَ قدْ ضَمِنا
بلْ بُورِكَ الجرحُ يقضيْ الدهرَ مُؤْتَلِقاً
نارُ الجحيمِ فَمِنْ حرَّاقِها اختزنا
تشرينُ هَلَّلَ نجومُ المجدِ في ظَفَرٍ
تُهديْ إليكَ امتناناً زاخراً وثَنَا
اعطيْتَها مِنْ دراري النَصرِ غاليةً
راحتْ تُضيءُ المدى، تستنطقُ الزمنا
تشرينُ هلْ مِنْ بقايا عِنْدَكُمْ بَقيَتْ
فاعبرْ بها وعلى أرواحنا سُفُنا
جَلَّ الشهيدُ فيومُ الموتِ مَولدُهُ
لآخرِ الدهرِ، لا حُزناً ولا شجَنَا
نحنُ الذينَ غَدَوْا إنْ جَدَّ جِدُهُمُ
نُعطيْ البروقَ سناً.. يزهوْ الزمانُ بِنا
«سامٌ» لنا في ثوانيْ الحقِّ نُطلِقُهُ
يصطادُ غانيةً سكرى بها افْتُتِنا
تِسْعٌ وتسعونَ في صبحٍ وليلَتِهِ
فالحقُّ آمِرُنا والله قدْ أذِنَا

المراسلات:
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117241-6117240
-فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 15ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله.
تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشتراك السنوي -داخل القطر:أعضـــاء اتحاد الكتاب العرب 500 ل س - للأفـــراد1000ل.س
-وزارات ومؤسسات1217ل.س - في الوطن العربي:للأفراد300 ل.س أو30 $ - للوزارات والمؤسسات 4000ل.س أو40$-خارج الوطن العربي:للأفراد 6000ل.س أو 120$ -
للمؤسسات7000ل.س أو140$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجهات نظر أصحابها

www.awu-awu.sy
E-mail : aru@tarassul.sy

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:
ـ غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
ـ منضدة ومراجعة ومدقّقة مع مراعاة التشكيل حين اللـزوم، وعلامات الترقيم.
ـ لا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمئة كلمة.
ـ يرفق مع المادة (C.D) أو ترسل عبر البريد الإلكتروني.
ـ يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.
ـ لا يرسل الكاتب أكثر من مادتين.

الآداب العالمية في إصدار جديد

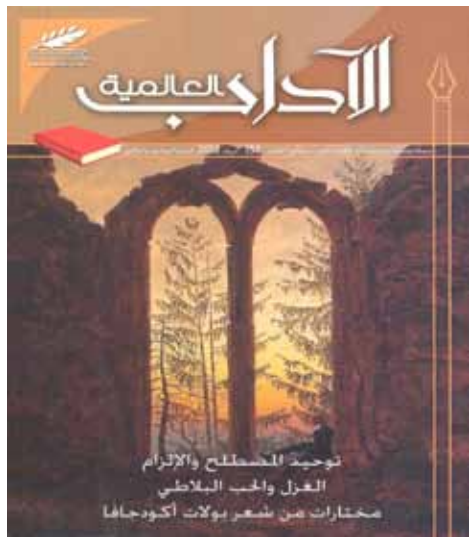

صدر العدد 152 من مجلة الآداب العالمية وهو عدد خريف 2012وفيه:

«توحيد المصطلح والإلـزام» لرئيس التحرير عدنان جاموس و«المتشكلات الفكرية المؤسسة لمدرسة فانكفورت» لـ د. حبيب بوهرور و «نظرية الترجمة: المفهوم والوظيفة» لشريفي عبد الواحد و«الغزل والحب البلاطي» لسوزان إندريفيتس بترجمة د. محمد فؤاد نعناع ومادة حول الكاتب السويسري شارل فرديناند رامو بقلم مازن المغربي إضافة إلى مختارات من شعر بولات أكودجافا قدم لها وترجمها د. ثائر زين الدين ومختارات من قصائد الشاعرة الروسية-الحموية أولغا سورنوفا ترجمها عدنان جاموس وقصة «صوت الفقيد» لـ هيلينا كاداريه ترجمها أكرم طرابلسي وقصة «عيد المحاربين» لـ أندريه بيلازيوروف ترجمها عياد عيد.

تضمن العدد متابعات وأخباراً أدبية هي: «النابالم وغضب السماء» لهدى أنتيبا و«المتواردات والترجمة» لمها بحبوح، بينما كانت نافذة العدد الأخيرة بعنوان «الترجمة أيضاً وأيضاً» لزياد العودة.

التراث العربي في إصدار جديد

صدر العدد 127 من مجلة التراث العربي وهو عدد خريف 2012وفيه:

افتتاحية العدد لرئيس التحرير د. راتب سكر بعنوان «دارسو التراث وعصور الأدب»، إضافة إلى بحوث العدد التي تنوعت مابين «العنبر.طيوف من عوالمه في التراث العربي» للأستاذ د. عبد الفتاح محمد و«الشيخ طاهر الجزائري وجهوده الفكرية» للأستاذ بلال عرابي و«ثقافة العمل في التراث» للدكتور نايف شقير و«أخلاق الفتوة عند الحلاج» لرضوان السح. كما تناول ملف العدد المعنون بـ «دراسات تراثية في ضوء نظرية التناص» : «ألف ليلة وليلة في القصة القصيرة المعاصرة» للأستاذ د. أحمد جاسم الحسين و«جماليات الاقتباس والتضمين في ضوء نظرية التناص» للدكتور رود خباز و«قراءة في قصيدة رثاء النفس» للدكتور وليد سراقبي و«استلهام التراث في قصص الأطفال» للدكتور أحمد صوان و«التناص في شعر شرف الدين الأنصاري» للدكتور وليد العرفي و«التناص في شعر العهدين التركي والأيوبي» للمثنى أبو شكير و«التناص في شعر ابن الدمينة» للميس داود و«حضور التراث في الشعر الموريتاني» لأبو بكر بن محمد بن أحميد.

كما قدّم الأستاذ الدكتور عبد الإله نبهان باقة من أخبار التراث، بينما تضمنت الأوراق التراثية للمجلة بحث «الدكتور محمد زكي العشماوي سادن التراث العربي» للأستاذ د. أحمد دهمان بينما كان آخر الكلام للدكتور ممدوح خسارة متناولاً «التعريب طريقنا إلى المعاصرة».

ندوة الرواية السنوية: الجـولان في الروايـة العربيـة

برعايـة الأستـاذ الدكتـور حسيـن جمعـة رئيس اتحاد الكتاب العرب
تتشرف جمعية القصة والرواية بدعوتكم لحضور ندوة الرواية السنوية بعنوان:
الجـولان في الروايـة العربيـة
وذلك في تمام الساعة الحادية عشرة صباحاً من يوم الأربعاء 2012/11/7م
وذلك في قاعة المحاضرات في اتحاد الكتاب العرب ـ أوستراد المزة
الدعوة عامة

احتجاب

تحتجب الأسـبـوع الأدبـي عـن الـصـدور صبـاح السبت 2012/11/3 بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك.

وكل عام وأنت بخير

الأسبوع الأدبي
جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام 1986

المدير المسـؤول: د.حسـين جمعـة
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير: غسان كامل ونوس

مدير التحرير: حنـان درويـــش

المدير الفني: نضـال فهيم عيـــسى

هيئة التحرير:
إسماعيل الملحم - د. حمدي موصللي - زهير هدلة
-د. عادل فريجات - عياد عيد - مريم خيربك

ليس آخراً

غسان كامل ونوس

آخر رمق

أعرف..

سيمرّ الفجر بلا بشرى، والصبح بلا إصباح، والعيد بلا عيدية..

الشارات بلا عبور، والحافلة بلا موقف، والطريق بلا حافلة!

أعرف..

الورد الذي لا يذبل بلا رائحة، والأمل الذي لا يتحقق بلا رصيد، والنهر الذي لا يجري ينفق!

أعرف..

المواكب ليست للأعراس، والمنبّهات ليست للإيقاظ، والزّينات ليست للفرح، والطبول ليست للدبكة..

.. الجيب بلا قاع، والصدر بلا تنهيد، والوجه بلا قناع، والنبض بلا إيقاع، والسهم بلا تسديد، والقلب في التياع!

الأمام بلا وراء، والاسم بلا نداء، والدمع بلا وعاء، والقضاء أصمّ عن الدّعاء!

أعرف..

الوقت لا يهتمّ بمن جاء وراح، ولا الموعد محتشد، ولا الحزن مبترد، ولا السفح مكترث بالذرا، والوادي يغصّ بالحطام..

أعرف أنّك لن تدقّ الباب؛ سأفتحه؛ ولن تهلّ أو تحلّ، ولن تطمئنني أو تعابثني على خطّ اللهفة؛ سأردّ بآخر الأخبار، وأتغافل عن السؤال!

أعرف..

لن تشذّب الـورد، سأتركه يفيض؛ لن تهذّب السّمَر، سأنساق إلى ضجيج الوحدة؛ لن تشاكِس السهرة، سأركن إلى أطياف الألفة، وأتجاوب مع الصدى؛ لن تقصّ عليّ المغامرات، سأنفعل من الإثارة؛ لن تغادر متأخّراً، أخاف عليك أو على نفسي؛ لن تنام عندي، لكي لا يسهر كلام الناس، ولن تأتي، لينشغل الحراس؛ سأتلهّى بالأرق، لكي لا أفيق باكراً من دونك، وحتى لا يسبقني إلى مثواك أحد!

أعرف ذلك وأكثر.. ولن أكتئب أو أتذمّر؛ وليست مكابرة أو متاجرة، أو مفاخرة؛

سأباشر الترتيب والتنظيف؛ سأعدّ كل شيء لأطبخ وأنفخ، وأحلّي؛ سأعايد العيد، وأستوقفه ليلقاك؛ سأفتح النوافذ حتّى لانكماش تشرين، وتَسارُعِ الشمس إلى الارتماء على أقرب أفق؛ فنحن في أشهر الزيت، وهيمنة الحمرة على أوراق الشجر، واندفاع الماء في العروق العطشى!

ليتك ترتمي في أدفأ حضن؛ وتبسم في السمت القلق، وتطلّ على آخر رمق!

لن تعاند الحباثُ المخضرّة طويلاً في أطراف الزيتونة الناهضة، ستطالها حماستك؛ لن توالي العناقيد المصفرّة تعلّقها المتعالي، ستعتصرها رغبتك؛ وسأراود الكأسَ كأسَك عن امتلائها المتّصل!

لن ألغي حصّتك من الـزوّادة، ولن أتوقف عن الحديث والإصغاء، كأنك معي!

لا تشغل بالك، ولا تبتئس، ولا تنكفئ، ولا تَنُسْ، ولا تتلاشَ؛ سألبس ما كنت تحبّ، كما أوصيتَ، وأهزج مع القوّالين، رغم أنها ليست عادتي؛ لكنها رغبتك، كما كانت رغبتك أن أزغرد، وأرشّ الأرز، وأحمل الصورة التي تحبّ، وأحبّ!

لا تنشغل بنا عن ملكوتك، ولا تبعدنا عن ألقك الأبدي، وها نحن نحتفي بمنزلك الجديد.. السرمدي، ونعتزّ بسيرتك المغرية، ونسمو بمآلك المشتهى!

***

gassan.k.w@mail.sy